

الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية

تأليف
العالم العلامة ، الحبر الفهامة
السَّيِّحُ مَآيِمَاهُ بن سَحْمَاهُ
رحمه الله تعالى

طبع بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

سعود بن عبد العزيز

ملك المملكة العربية السعودية
أيده الله تعالى

١٣٧٦ - ١٩٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقنا لسلوك صراطه المستقيم ، وجنبنا بفضلہ ورحمته طريق أصحاب الجحيم ، ومنّ علينا بمتابعة نبيّه الكريم فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله وأصحابه الذين هم نجوم الهداية والدراية والتعليم ، أما بعد : فاني وقفت على أوراق كتبها رجل من أهل الشام يقال له «محمد عطا الكسم» وكان ممن تجانف للعدوان والاثم ، جمع فيها من الترهات والاكاذيب الموضوعات ما يمجج سماعه أولو العقول السليمة والالباب الزاكية المستقيمة ، وسمّاها الاقوال المرضية في الرد على الوهابية ، ورتبها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، وقد اشتملت مقدمته الكاذبة الخاطئة على الفاظ مبتدعة ومعاني وإشارات مخترعة وأقوال مختلفة مفترعة ، ليست من اقوال أهل الاسلام ، ولم يقل بها احد من الأئمة الاعلام ، وانما هي اوضاع الفلاسفة ومن وافقهم من أهل الكلام وأهل الاتحاد الطغاة اللثام ومن وافقهم على اصولهم ممن يزعم أن معاني هذه الالفاظ حصلت له بطريق المشاهدة والمكاشفة التي هي عند التحقيق مكاشفة ، وان ذلك من الفتوحات الربانية والمواهب اللدنية ، وفي الحقيقة انما هي خيالات شيطانية ، واصطلاحات واوضاع فلسفية ، وخلف من بعدهم خلف على طريقتهم عبروا عن هذه المعاني الفلسفية بعبارات اسلامية يخاطبون بها من لا يعرف معاني هذه الاوضاع ويجعلون مراد الله ورسوله من الآيات والاحاديث على ما ارادوا من معاني هذه الاوضاع ، التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الامة وأئمتها كما يذكر ابو حامد الغزالي في مواضع من الفرق بين عالم الملك والملوك والجبروت وفي مواضع أخرى ، قال فيها ان اشرف افعال الله واعجبها وأدناها على جلالة صانعها ، ما لا يظهر

للحس بل هو من عالم الملكوت ، وهي الملائكة الروحانية والروح والقلب ،
اغني العارف بالله تعالى من جملة اجزاء الادمى فانها ايضاً من جملة عالم الغيب
والملكوت وخارج عن عالم الملك والشهادة .

قال شيخ الاسلام : ومعلوم أن ما جاء في الكتاب والسنة من لفظ
الملكوت ، كقوله بيده ملكوت كل شيء ، وقوله ﷺ في ركوعه سبحان
ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، لم يرد به هذا باتفاق المسلمين ،
ولا دل كلام أحد من السلف والائمة على التقسيم الذي يذكرونه بهذه الالفاظ
وهم يعبرون بهذه العبارات المعروفة عند المسلمين عن تلك المعاني التي تلقوها
عن الفلاسفة وضعاً وضعوه ، ثم يريدون ان ينزلوا كلام الله تعالى ورسوله ﷺ
على ما وضعوه من اللغة والاصطلاح انتهى .

وهذه المعاني التي ذكرها الفلاسفة يفسرون عالم الملك بعالم الاجسام ، وعالم
الملكوت بعالم النفوس ، لانها باطن للاجسام ، وعالم الجبروت بالعقول ، لانها
غير متصلة بالاجسام ولا متعلقة بها ، ومنهم من يعكس ، وقد يجعلون الاسلام
والايمان والاحسان مطابقاً لهذه الامور .

والمقصود بهذا ان ما ذكره هذا الملحد فيما يأتي من كلام القسطلاني وما بعده
هو من هذا النمط المأخوذ عن الفلاسفة ومن وافقهم ، فلما لم يكن هذا من
كلام أهل الاسلام ولم يذكره أحد من الائمة الاعلام ، وشبهه به هؤلاء
الفلاة على الطغام من العوام ، ومن لا معرفة له بمدارك الاحكام ومعاني
الكلام . استعنت الله تعالى على التنبيه على بعض ما في هذه الاوراق من المحرفة
والشقاق ، وعلى كشف ما موه به من جواز الاستغثة بالانبياء والاولياء
والصالحين ، والتوسل بهم على اصطلاح هؤلاء الفلاة ، وما ذكر من الاحاديث
في ذلك وأقوال أهل العلم ، مما هو موضوع مكذوب أو ضعيف لا يحتاج به
ولا تثبت به الحجة الشرعية ، وتركت كثيراً من كلامه ، هو متضمن للغلو
والاطراء في حق نبينا ﷺ بما يزعم أنه من تعظيمه وتوقيره ، وكذلك ما ذكره
عن السبكي في كتابه تعظيم المنة ، وما ذكره من المفاضلة بين الانبياء وبين

بيننا ﷺ مما قد نهى عنه ﷺ ، واعتقت ذلك بذكر خاتمة في الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وأقوال بعض العلماء في معنى لا إله إلا الله ، وسميت هذا الجواب «الصواعق المرسلة الوهابية على الشبهات الداحضة الشامية» وأسأل الله تعالى ان يلهمنا الصواب وان يجزل لنا الاجر والثواب بمنه وكرمه .

نصل

قال الملحد أما بعد : فيقول خويدم طلبة العلم الفقير الى الله محمد عطا الكسم انه قد أخبرني بعض الاخوان انه قد اجتمع برجل من الوهابية يوسوس لاهل السنة المحمدية بتحريم التوسل بخير البرية عليه افضل الصلاة وأتم التحية الى آخر ما قال .

والجواب وبالله التوفيق ان اقول : قد سبق هذا الملحد الى تسمية عباد القبور أهل السنة المحمدية من أعمى الله بصيرة قلبه طاغية العراق داود بن جرجيس العراقي ، واجابه على ذلك الامام وعلم الهداة الاعلام الشيخ عبد اللطيف ، فنذكر من جوابه ما يبطل تسمية هذا الملحد عباد القبور أهل السنة المحمدية ، قال رحمه الله تعالى . والجواب ان يقال اولاً : تسمية عباد القبور أهل سنة وجماعة جهل عظيم بحدود ما أنزل الله على رسوله ، وقلب للمسميات الشرعية وما يراد من الاسلام والايان والشرك والكفر ، قال تعالى (الاعراب أشد كفرًا ونفاقًا واجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) وهذا وامثاله أجدر من اولئك بالجهل وعدم العلم بالحدود لغربة الاسلام ، وبعد العهد بآثار النبوة وأهل السنة والجماعة أهل الاسلام والتوحيد المتمسكون بالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة الذين لم يشوبوها ببدع أهل الاهواء وأهل الكلام في ابواب العلم والاعتقادات ولم يخرجوا عنها في باب العمل والارادات كما عليه جهال أهل الطرائق والعبادات ، فان السنة في الاصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وماسته أو أمر به من اصول الدين وفروعه حتى المهدي والسمت ، ثم خست في بعض

الاطلاقات بما كان عليه اهل السنة من اثبات الاسماء والصفات خلافاً للجهمية المعطلة النفاة ، وخصت باثبات القدر وبنفي الجبر خلافاً للقدرية النفاة والقدرية الجبرية العصاة ، وتطلق ايضاً على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الإمامة والتفضيل والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ، وهذا من اطلاق الاسم على بعض مسمياته لانهم يريدون بمثل هذا الاطلاق التنبيه على ان المسمى وكن اعظم وشرط اكبر ، كقوله الحج عرفة ، ولانه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم ، ولذلك سمي العلماء كتبهم في هذه الاصول كتب السنة ككتاب السنة للالكائي والسنة لابي بكر الاثرم ، والسنة للخلال ، والسنة لابن خزيمة والسنة لعبد الله بن احمد ومنهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم انتهى . وهذا الملحد يرى ان اهل السنة المحمدية هم الذين يتوسلون ويدعون الانبياء والاولياء والصالحين ويلتجئون اليهم ويستغيثون بهم ويستعينون بهم في الشدائد والمهمات ، ويرجونهم لكشف الكربات واغاثة اللففات ، ويتقربون اليهم بانواع القربات من الذبح لهم والنذر والخوف والتعظيم والدعاء والالانة اليهم والتوكل عليهم والخضوع لهم . ومن عجيب أمر هؤلاء الغلاة ما ذكره حسين بن محمد النعيمي السني في بعض رسائله أن امرأة كف بصرها فنادت وليها : أما الله فقد صنع ماترى ولم يبق الا حسبك .

قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله : وحدثني سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمي رحمه الله ، أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضى الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدة المشهد وبعض الحاضرين ، فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين .

وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن إن مثل هذا وقع عندهم .

وقد حدثني الشيخ خليل الرشدي بالجامع الازهر ان بعض اعيان المدرسين هناك قال : لا يدق وتد بالقاهرة الا بأذن السيد احمد البدوي قال

فقلت له : هذا لا يكون الا الله او كلا ما نحو هذا ، فقال : جبي في سيدي احمد البدوي اقتضي هذا .

وحكي أن رجلاً سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال : لم أر أكثر منه الا في جبال عرفات الا اني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة ايام ، فقال السائل قد تحملها الشيخ ، قال بعض الافاضل وباب تحمل الشيخ ومصرعاه ما بين بصرى وعدن قد اتسع خرقة وتتابع فتقه ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد انتهى .

ولو ذهبنا نذكر ما يفعله عباد القبور والاولياء والصالحين لطال الكلام . فهؤلاء عند هذا الملحد أهل السنة والجماعة فتعوذ بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب .

إذا تحققت هذا وعرفته ، فقول هذا الملحد أنه قد اجتمع برجل من الوهابية يوسوس لأهل السنة المحمدية بتحريم التوسل بخير البرية مراده بالتوسل هنا أن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به والالتجاء اليه فيما لا يقدر عليه الا الله يسمى توسلاً وتشفعاً ، وهذا فرار منه أن يسمى شركاً وكفراً ، ومن المعلوم عند ذوي العلوم والفهوم أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح ، فمعناه في لغة الصحابة رضي الله عنهم وعرفهم أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل به والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك لا محذور فيه ، والتوسل له اقسام ، قسم مشروع ، وهو التوسل بالاعمال الصالحة وبدعاء النبي ﷺ في حياته وطلب الاستغفار منه وبدعاء الصالحين وأهل الفضل والعلم كما استسقى عمر رضي الله عنه بدعاء العباس ومعاوية رضي الله عنهما بدعاء يزيد بن الاسود الجرشي ، وكذلك بالاعمال الصالحة ؛ وقسم محرم وبدعة مذمومة وهو التوسل بحق العبد وجاهه وحرمة نبياً كان ذلك أو ولياً أو صالحاً ، كأن يقول الانسان اللهم إني أسألك بجاء نبيك محمد ﷺ أو بجاء عباد الله الصالحين أو بحقهم أو بجرمتهم ، ونحو ذلك لأن ذلك لم يرد به نص عن رسول الله ﷺ ولا فعله احد من الصحابة ولا

التابعين رضي الله عنهم . فإذا عرفت أن معنى التوسل في لغة الصحابة طلب الدعاء ، وأن هذا هو المشروع ، وأن ما عداه إما شرك أو محرم أو مكروه مبتدع ، عرفت أن قصد هؤلاء بالتوسل هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين ، وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع انواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والنذر والتوكل والاستغاثة والاستعانة والاستشفاع بهم وطلب الخواارج من الولايج في المهمات والملمات وكشف الكربات واغاثة اللهفات ومعاونة اولي العاهات والبيات ، الى غير ذلك من الامور التي صرفها المشركون لغير فاطر الارض والسموات ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه ، فمن صرف من هذه الانواع شيئاً لغير الله ، فهو كافر مشرك باجماع المسلمين ، كما ذكر ذلك شيخ الاسلام وغيره من العلماء .

فصل

ثم قال الملحد: ولكن من فرط المحبة لهذا المحبوب الذي هو صفوة علام الغيوب الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب .

والجواب ان يقال : ان قول هذا الملحد الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب ، كلام متضمن لغاية الغلو والأطراء الذي وقعت فيه النصارى وامثالهم وهو مناف لقوله تعالى (وما ادراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تغلك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله) وقوله تعالى (قل اني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً) وقوله تعالى (قل اني لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً) الآية وللحديث الصحيح حيث قال لابنته فاطمة وأحب الناس اليه « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما سئت لا أغنى عنك من الله شيئاً » فتأمل ما بين هذه النصوص وبين قول هذا الملحد من التضاد والتباين ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى وذكره رسوله ﷺ كقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزولها وامثال

هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير ؛ ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذباً وأضلّ الناس بغير علم .

فعل

ثم قال الملحد : قال القسطلاني في المواهب اللدنية ، اعلم يا ذا العقل السليم والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم وفقني الله وإياك لهداية الصراط المستقيم ، انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية من لانوار الصدية في الحضرة الأحدية ، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق ارادته وعلمه ، ثم أعلمه تعالى بنبوته وبشتره برسالته ، هذا وآدم لم يكن الا كما قال بين الروح والجسد ، ثم انبجست منه ﷺ عيون الارواح ، قال الشارح الامام الزرقاني اي : تفجرت منه ﷺ عيون الارواح أي : خالصها كارواح الانبياء ، والمراد بالعيون الكلمات المفرغة من نوره على ارواح الانبياء عثر عنها بالعيون مجازاً لمشابهتها لعيون الانسان للكمال .

والجواب ومن الله استمد الصواب ان نقول : هذا كلام مخترع مبتدع ، لم يقل به احد ممن يعتد بقوله من اهل الاسلام ، ولم ينقله احد من العلماء الامناء عن الأئمة الاعلام وليس هو في شيء من الكتب المعروفة المشهورة ، كالصاحح والسنن والمسند وغيرها من الكتب المعتمدة ، بل هو من الترهات التي يحكيها هؤلاء الغلاة المتهوكون ، الحيارى المفتونون ، الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين ، ولبسوا من حملة سنة سيد المرسلين ولا لهم معرفة بمدارك الاحكام ولا اقوال اهل السنة أئمة الاسلام ، وانما ينقلون مثل هذه الحكايات التي لا اصل لها في الكتاب والسنة عن مثل القسطلاني وغيره ، ويغترون بها فضولاً وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، إذ ليس لهم في ذلك مستند ولا حجة من البرهان والدليل ، بل هذا مقتبس من اقوال الفلاسفة ومن نخا نحوم من المتكلمين .

ومن المعلوم بالضرورة ان ما حكاه هذا الملحد عن القسطلاني ان كان صحيحا لا يدرك معرفة ذلك على التحقيق الا من مشكاة النبوة بنقل حملة السنة والقرآن أهل المعرفة والحفظ والاتقان ولا خبر بذلك بنقل صحيح عن رسول الله ﷺ يجب المصير اليه ، فما كان هذا سبيله فهو مطرح ساقط لا يلتفت اليه ولا يعول في الحكم عليه إذ هو من الترهات الواهية التي هي عن الدليل عارية بل هو مصادم لصريح الكتاب والسنة كما سنبينه ان شاء الله تعالى . قال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر واثني) وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن ، فدل على ان جملة مخلوقة بعد خلق الابوين ، وأصرح منه (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً) وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق اصله ، وفي الموطأ حدثنا يزيد بن ابي انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) فقال سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال : « خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته ، فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون ، وخلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون » فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال الجنة فيدخل به الجنة ، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال النار فيدخل به النار ، قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم ، وروى الحاكم ايضاً من طريق هشام بن زيد عن زيد بن اسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة مرفوعاً لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خلقها الى يوم القيامة أمثال الذر ، ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيناً من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يا رب ؟ فقال هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم أعجبه وبينص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا ؟ فقال : هذا ابنك داود يكون في آخر الامم ، قال كم

جعلت له من العمر ؟ قال : ستين سنة ، قال يارب زده من عمري اربعين سنة فقال الله اذا يكتب فيختم فلا يبدل ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أو لم يبق من عمري اربعون سنة ؟ فقال أو لم تجعلها لابنك داود قال فجحد فوجدت ذريته ، ونسي فنسيت ذريته ، وخطأ فخطئت ذريته ، قال هذا على شرط مسلم . وفي صحيح الحاكم من حديث ابي جعفر الرازي حدثنا الربيع بن انيس عن ابي العالية عن أبي ابن كعب في قوله (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية قال جمعهم له يومئذ جمعاً ما هو كائن الى يوم القيامة فجعلهم ارواحاً ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، قال : فاني أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشرکوا بي شيئاً ، فاني ارسل اليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كتبي ، فقالوا نشهد انك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ورفع لهم ابوهم آدم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك ، فقال يارب لو سويت بين عبادك ؛ فقال اني أحب ان اشكر ورأى فيهم الانبياء مثل السرج ، وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهو قوله (هذا نذير من النذر الاولى) وقوله (وما وجدنا لكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) والآيات في هذا المعنى كثيرة .

والمقصود مما ذكرنا ان آدم رأى فيهم الانبياء مثل السرج وذلك بعد اخراجهم من صلبه ، فهذا فيه دلالة ظاهرة على بطلان من زعم انه لما تعلق ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه ، أبرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الأحدية ، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ، ثم انبجست منه عليه السلام عيون الارواح فعلى زعم هذا القائل ان الله لم يخلق جميع

النوع الانساني الا من نور محمد ، وان الملائكة مخلوقون من نوره وعلى هذا فلا معنى لقوله تعالى . (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) وقوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء) وان هذه الاحاديث لا دلالة فيها ، سبحانه هذا بهتان عظيم .

اذا عرفت هذا فهذه الاحاديث لا تدل على سبق الارواح الاجساد سبقا مستقراً ثابتاً ، غايتها انها تدل بعد صحتها وثبوتها على ان بارئها وفاطرها سبحانه صور النسم وقدر خلقها وآجالها وأعمالها ، واستخرج تلك الصور من مادتها ، ثم أعادها اليها ، وقدر خروج كل فرد من افرادها في وقته المقدر له ، وهذا هو المطلوب ولا تدل على انها خلقت خلقاً مستقراً ثم استقرت بوجوده حية عالمة ناطقة كلها في موضع واحد ، ثم يرسل منها الى الابدان جملة بعد جملة كما يقول محمد بن حزم : نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة على الوجه الذي سبق به التقدير اولاً فيجيء الخلق الخارجي مطابقاً للتقدير السابق كشأنه تعالى في جميع مخلوقاته ، فأه قدر لها اقداراً وآجالاً وصفاتاً وهيئة ثم أبرزها الى الوجود مطابقة لذلك التقدير الذي قدره الله لها لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، فالآثار المذكورة في هذا الباب اما تدل على اثبات القدر السابق وبعضها يدل على انه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة انتهى ملخصاً من كتاب الروح لابن القيم رحمه الله تعالى .

ثم قال بعد ذلك فهذا بعض كلام السلف والخلف في هذه الآية وعلى كل تقدير فلا يدل على خلق الارواح قبل الاجساد خلقاً مستقراً ، وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم ، ثم ردهم الى أصلهم ان صح الجبر بذلك ، والذي صح انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم الى شقي وسعيد انتهى .

فحصل لنا بما ذكر من كلام السلف إبطال دعوى من ادعى أن ارواح الانبياء مخلوقة من نور محمد ﷺ قبل خالق السموات والارض وقبل العرش

والقلم واللوح وأن جميع المخلوقات تفرعت جزءاً بعد جزء وخلقاً بعد خلق أنسها وجنّها وجنتها ونارها ، وحتى الملائكة من نور محمد ﷺ ، وهذا بما يعلم بضرورة العقل أن هذا من الكذب والحكايات التي لا أصل لها بل الذي ثبت عن النبي ﷺ أن الله قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، ففي صحيح مسلم من حديث ابن وهب أخبرني أبو هاني الحولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرضه على الماء » .

وهذا الملحد يزعم أن الحقيقة المحمدية أبرزت من الأنوار الصمدية في الحضرة الاحدية قبل خلق العرش والماء والقلم الذي كتب مقادير كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهذا مناف لصريح الكتاب والسنة ومناقض لما أسد المناقضة وهذه الترهات مقتبسة من كلام ابن عربي صاحب الفصوص الذي هو من اكفر خلق الله ، فانه ذكر في الفتوحات من نط هذا وفي الفصوص في اثناء كلام له قال فيه : فان فهمت ما أنثرت به فقد حصل لك العلم النافع ، فكل نبي من بني آدم الى آخر نبي ، ما منهم احد يأخذ الا من مشكاه خاتم النبيين ، وان تأخر وجود طينته ، فانه بحقيقته موجود وهو قوله « كنت نبياً وادم بين الماء والطين » وغيره ما كان نبياً الى حين بعث وكذلك خاتم الأولياء كان وادماً وادم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان ولياً الا بعد تحصيل شرائط الولاية من الاخلاق الالهية في الاتصاف بها من كون الله تسمى بالولي الحميد الى آخر كلامه ، وبهذا تعلم انهم انما حدوا حدوه وقفوا أثره ، مع ان قوله « كنت نبياً وادم بين الماء والطين » ما يرويه العموم ، وهذا باطل واللفظ المعروف بين الروح والجسد ، لان بين الماء والطين مرتبة ، وكذلك قوله : وغيره ما كان نبياً الى حين بعث ، وانه مخالف لقول ﷺ « ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » واقوله في حديث أبي بن كعب المتقدم ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا نبيثاق آخر بالرسالة والنبوة الى آخره .

وهؤلاء الغلاة يظنون انهم بهذه الترهات معظمين الرسول ، وهم بهذه الامور ضارعوا النصارى في الغلو والاطراء ، ويزعمون انهم بهذا الغلو قد بالغوا في تعظيمه ﷺ وتوقيره وتبجيله وتعزيره ، وحاشا وكلا بل هو بما يكرهه ﷺ ويسخطه وينهى عنه كما قال ﷺ « لا تطروني كما اطرت النصارى بن مريم انما انا عبد فقالوا عبد الله ورسوله » اخرجاه في الصحيحين ، وقوله ﷺ لما قيل له ياسيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال : « يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان انا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » وانما كره ذلك ﷺ خشية ان يستجربنهم الشيطان في المبالغة في المدح والثناء فيخرج بهم الى الحد الاطراء فأرشدهم ﷺ الى الأدب في الألفاظ ، وعلمهم كيفية الثناء عليه بأن يقولوا عبد الله ورسوله .

فتبين من هذا الحديث ان أشرف مقامات النبي ﷺ مقام العبودية والرسالة ولذلك شرفه الله بهما في مقام التحدي وغيره ، فقال تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) الآية وقال تعالى (سبحان الذي أسمى بعبده ليلا من المسجد الحرام) الآية وقال تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) وقال تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقال تعالى (محمد رسول الله) وقال تعالى (وانه لما قام عبد الله يدعوه) الآية . فتعظيمه ﷺ انما هو بطاعته وامثال أمره والانتفاء عما نهى عنه ولزوم متابعتة وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق بهديه وسنته ، فصولات الله وسلامه عليه كما نصح الامة وكشف الغمة وأدى الامانة وبلغ الرسالة وقطع الوسيلة والذريعة المفضية الى مجاوزة الحد بالغلو والاطراء في مدحه والثناء عليه كما اطرت النصارى عيسى بن مريم وغلت فيه حتى تجاوزت الحد بدعواهم الهيته وانه هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وقد تجاوز الحد في مدحه والثناء عليه من هذه الامة أناس ضاهوا النصارى كما قال دحلان في كتابه الذي سماه الدرر السنية فقال : نعم يجب علينا ان

لا نصفه بشيء من صفات الربوبية فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات ورحم الله البوصيري حيث قال: دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحكم انتهى . وهذا ليس من التعظيم المشروع في شيء بل هو من صرف خالص حق الله لغيره فان دعاء غير الله والنحر له والنذر له والاستغاثة به والالتجاء اليه والطواف له والسجدة له والركوع له وغيرها من أنواع العباد كفر وشرك مع انها تعظيم بغير صفات الربوبية بل الذي يجب علينا ان لا نعبد غير الله بقسم من أقسام العبادة المتقدم ذكرها وان لا نفعل ما نهى الله عنه ورسوله وان لا نحدث في أمر الدين شيئا ، قال الله تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) قال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الى غير ذلك من الآيات الدالة على إفراد الله تعالى بالعبادة دون ما سواه كائنا من كان .

فصل

قال الملحد وروى عبد الرازق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله بآبي وأمي اخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء . قال : يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس فلما أراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الاول حلة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثالث باقي الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة

أجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انهمم وهو التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله الى آخره .

والجواب أن يقال : هذا حديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ مخالف أصريح الكتاب والسنة وهذا الحديث لا يوجد في شيء من الكتب المعتمدة ، وإنما يوجد مثل هذا في الكتب المصنفة في شرح الخصائص والشمال وفي بعض الكتب كما يذكر أمثال ذلك أبو نعيم وابن عساكر وأبو حامد الغزالي وابن أبي الدنيا في جزء التفكير والاعتبار من الاحاديث الموضوعة المكذوبة ، ولا حاجة بأهل الاسلام الى شيء مما يتعلق بخصائص النبي ﷺ وشماله وفضائله من هذه الموضوعات ، وفيما ذكره أهل العلم بالله من حملة السنة والقرآن وأهل الحفظ والاتقان من خصائص النبي وفضائله ومعجزاته وشماله مما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ مقنع عما يذكره هؤلاء من الاكاذيب الموضوعة والاحاديث المصنوعة ، فمن ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « فضلت على الانبياء بست » ، اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون ، وروى الامام احمد والنسائي من حديث البراء قال : لما كان يوم الخندق عرضت لى في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المايل فاشتكينا ذلك الى رسول الله ﷺ وجاء فأخذ المعول فقال : بسم الله ثم ضرب ضربة قط ثلثا قال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال : الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لا أبصر قصر المدائن الابيض الآن ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع باقي الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لا أبصر أبواب صنعاء من مكاني ، وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول « اني ابرأ الى الله أن يكون لي منكم خليلا فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ

ابراهيم خليله ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً ،
ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا
القبور مساجد فاني انما كم عن ذلك ، وله من المعجزات والفضائل والخصائص
ما ليس لغيره من الانبياء مما لا يحصى ولا يستقصى ، ومن أعظم
ما خصه الله به من الفضائل المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون ، قال
الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله على قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا) قال يقعده معه على العرش وله في القيامة ثلاث شفاعات أما الشفاعة
الاولى فيشفع لاهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الانبياء آدم ونوح
وابراهيم وموسي وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي اليه ، وأما الشفاعة الثانية
فيشفع في أهل الجنة ان يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له ، وأما
الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين
والصديقين وغيرهم يشفع فيمن استحق النار ان لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها
ان يخرج منها ، وله الحوض المورود في عرصات القيامة ماؤه أشد بياضا من
اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من
شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، وهو أول من يفتح له باب الجنة ، وأول
من يدخل الجنة من الامم أمته ، والمقصود من هذا ان قول هذا المحدث
فيما أورده عن القسطلاني من تلك الحكاية وما ذكره من هذا الحديث
الموضوع ان أول ما خلق الله من الاشياء نور محمد ﷺ وان جميع المخلوقات
خلقت من نوره حتى النار ، وان هذا مناقض لما ذكره الله في كتابه وعلى لسان
رسوله في سنته .

ولو كان حقاً وثابتاً أو كان من الفضائل والخصائص لذكره أهل الصحاح
والمساند والسنن وغيرها من الكتب المعتمدة ، ومن المعلوم بالضرورة من
دين الاسلام أن هذا من الكذب الذي لا يمتري فيه عاقل فضلا عن العلماء
الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه ورسوله وسنة نبيه ، وإذا كان نور رسول الله
ﷺ على زعم هؤلاء مخلوقاً من نور ، فمن المعلوم بصريح النقل أن الملائكة
(م -- ٢ الصواعق)

مخلوقون من النور أيضاً كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم » وفي تفسير الحافظ أبي بكر احمد بن موسى بن مردويه من حديث حماد بن سلمة حدثنا الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكر عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود « ان ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار ونور السموات من نور وجهه » الحديث الى آخره .

ونهى العلماء عن استقبال الشمس والقمر بيول أو غائط لما فيهما من نور الله ، فاذا كان ذلك كذلك فما خاصية رسول الله ﷺ بذلك ؟ وامتيازه عن هذه المخلوقات ؟ اذ من المعلوم بالضرورة ان الله خلق آدم من صلصال كالفخار ، وقد فضله الله على الملائكة وهم مخلوقون من نور ، ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم ، وآدم عليه السلام فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وقد ذكر ﷺ في الحديث السابق ان الملائكة خلقت من نور ولم يقل خلقت من نور محمد فدل على أن هذا كذب عليه ، وقد قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجنان خلقناه من قبل من نار السموم) وثبت بالاسناد الذي على شرط الصحيح عن عبد الله بن عمر انه قال : قالت الملائكة يا ربنا قد جعلت لبني آدم الدنيا يأكلون ويشربون فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا ، فقال : لا افعل ثم أعادوا عليه ، فقال : لا افعل ثم أعادوا عليه ، فقال : وعزتي لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان « فاذا ثبت ان الملائكة مخلوقون من نور وان الله خلق آدم وذريته من صلصال من حمأ مسنون وأقسم بعزته جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ان من خلق بيده أفضل من الملائكة المخلوقين من النور ، وانه لا يجعل صالح ذريته كالملائكة ، وقال عبد الله بن سلام « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ فقليل له : يا أبابوسف ولا جبرائيل ولا ميكائيل ؟ فقال يابن أخي او تعرف ماجبرائيل وميكائيل ؟ انما جبرائيل وميكائيل خلق مسخر مثل الشمس والقمر ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد » وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ

رسول الله ﷺ بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » فتبين من هذا الحديث ان خلق النور يوم الأربعاء ، وآدم خلق بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق .

وقد ثبت أن نبينا ﷺ قال « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » فكيف يصح في الأذهان أن يكون آدم مخلوقاً من نور أفضل ولده ؟ وقد أخبرنا الله في كتابه وعلى لسان رسوله ان الله خلق آدم من صلصال من حمأ مسنون ، أو تكون النار التي هي محل غضبه وسخطه مخلوقة من نور محمد ؟ وقد ثبت ان الله خلق النار قبل ان يخلق آدم وذريته .

ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان نور الله الذي هو صفته غير مخلوق ، وليس من الله شيء مخلوق ، وانما تكون الاشياء وتخلق بأمره وتكوينه وأفعاله سبحانه وبحمده انما امره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

فإذا عرفت هذا عرفت أن ما ذكره القسطلاني لا يصح وان هذا الحديث موضوع مكذوب ، واذا كان ذلك كذلك تبين لك انه لم يكن قبل خلق آدم خلق من ذريته يسمى عالم الغيب لا أرواح ذريته من الانبياء ولا غيرهم . فإذا عرفت هذا فنذكر هنا من الاحاديث الصحيحة ما يبطل دعوى هؤلاء الوضاعين الغلاة وان الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ ان أول ما خلق الله تعالى من الاشياء العرش أو القلم كما ذكره أهل العلم .

قال شيخ الاسلام : الوجه التاسع انه قد ذكرنا ان للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين كما ذكره الحافظ ابو العلاء الهمداني وغيره أحدهما : أن القلم خلق أولاً ، كما أطلق ذلك غير واحد ، وذلك هو الذي يفهم في الظاهر في كتب من صنف في الاوائل كالحافظ أبي عروبة وابن أبي معشر

الحراني وأبي القاسم الطبراني للحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن عبادة ابن الصامت انه قال: يا بني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم انما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال يا رب وماذا أكتب؟ قال أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة « يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات على غير هذا فليس مني » .

والثاني : ان العرش خلق أولاً ، قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدى انبأنا سفيان الثوري حدثنا ابو هاشم عن مجاهد عن بن عباس قال ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق الله القلم فأمره ان يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ، ورواه أيضاً ابو القاسم اللالكائي في كتابه في شرح أصول السنة من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال : قيل لابن عباس أن ناساً يقولون في القدر قال : يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه اى لأخذن بناصيته ان الله كان على عرشه قبل ان يخلق شيئاً فخلق القلم فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ، وكذلك روي الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات لما ذكر بدء الخلق فذكر حديث عبد الله بن عمرو عن عمران ابن حصين وغيرهما ، وسنذكر هذين الحديثين ان شاء الله تعالى ، ثم ذكر حديث الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه سئل عن قول الله تعالى (وكان عرشه على الماء) على اي شيء كان ؟ قال : على متن الريح ، وروى حديث القاسم بن ابي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله ﷺ قال : « ان أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء يكون » قال البيهقي ويروي ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعاً ، قال البيهقي وإنما أراد والله أعلم أول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش والقلم ، وذلك بين في حديث عمران بن حصين ثم خلق السموات والارض ،

وفي حديث أبي ضبيان عن ابن عباس موقوفاً عليه ثم خلق النون فدحى الارض عليها وروى بإسناده الحديث المعروف عن وكيع عن الاعمش عن ابي ضبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله من شيء القلم فقال له اكتب فقال يارب ما اكتب ؟ قال اكتب القدر قال فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم الى قيام الساعة قال ثم خلق النون فدحى الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال وانما لتفتخر على الارض الى يوم القيمة ، قلت حديث عمران بن حصين الذي ذكر هو ما رواه البخاري من غير وجه منها ما رواه في كتاب التوحيد في (باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) قال ابو العالية استوى الى السماء ارتفع ، وقال مجاهد استوى على العرش وذكر من حديث أبي حمزة عن الاعمش عن صفوان ابن محرز عن عمران بن حصين قال انى عند النبي ﷺ اذ جاءه قوم من بني تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطينا فدخل ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قد قبلنا جئناك لنفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ، قال : كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ، ثم أتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت انها قد ذهبت ولم أقم ، رواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده .

وعن عثمان بن سعيد وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم عن ابي اسحاق الفزاري عن الاعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال اتيت النبي ﷺ فعقلت ناقتي بالباب ثم دخلت ، فاتاه نفر من بني تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا : بشرتنا فأعطينا فجاء نفر من اهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها اخوانكم من بني تميم فقالوا : قبلنا يا رسول الله اتيناك لنفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر كيف كان قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب في

الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض قال ثم اتاني رجل فقال : ادرك
ناقتك قال فذهبت فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب ، وايم الله لو ددت
اني تركتها ، ففي هذا الحديث الصحيح بيان انه كتب الذكر ما كتبه بعد
ان كان عرشه على الماء وقبل ان يخلق السموات والارض فبين من هذه
الاحاديث الصحيحة أن هذا الحديث الذي ذكره الملحد موضوع مكذوب
على رسول الله ﷺ ، وان أول ما خلق الله العرش على الصحيح كما قال
ابن القيم رحمه الله تعالى :

واذكر حديث السبق للتقديرو والتو
خمين الفا من سنين عدها ال
هذا وعرش الرب فوق الماء من
والناس مختلفون في القلم الذي
هل كان قبل العرش أو هو بعده
والحق ان العرش قبل لأنه
وكتابة القلم الشريف تعقب
لما يراه الله قال اكتب كذا
فجري بما هو كائن ابدا الى يوم المعاد بقدرة الرحمان
وهؤلاء الجهلة يزعمون أن أول ما خلق الله من الاشياء نور محمد ﷺ ثم لما
أراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول
القلم ، وهذا مناقض ومناف لما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين
قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم كتب الذكر كل
شيء ثم خلق السموات والارض ففي هذا الحديث أن كتب في الذكر بعد
ان كان عرشه على الماء فصح أن العرش والماء مخلوقان قبل القلم ولو كان الله
خلق نور محمد ﷺ قبل الاشياء لذكره في الحديث الصحيح ، وقد سأله عن
أول هذا الامر فاخبرهم ان الله كان ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء
وذكر البيهقي فيما تقدم على حديث عبادة ان أول شيء خلقه الله بعد خلق

الماء والريح والعرش والقلم ، قال : وذلك بين في حديث عمران ولم يذكر خلق نور محمد لا قبل العرش ولا القلم ولا بعده .

ثم ذكر هذا الملمح ان الله قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الأول السموات ومن الثاني الارض ، وهذا يخالف للاحاديث كما في حديث أبي ضبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله عز وجل القلم فذكره وفيه ثم خلق النون فدحى الارض عليها فارتمت بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال ، فتبين من هذا الحديث ان خلق الارض قبل السماء كما قال تعالى (قل أناسكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين) الى قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) الآية . وهذا الجاهل يقول ثم خلق من الجزء الاول السموات ومن الثاني الارض خلاف ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ، وخلاف ما نزل به القرآن ، وقال عثمان بن سعيد حدثنا عبد الله بن صالح المصري ، حدثنا ابن لهيعة ورشدين بن سعد عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال لما أراد الله تبارك وتعالى ان يخلق شيئاً اذ كان عرشه على الماء واذا الارض ولا اسماء خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه واثار ركامه ، فاخرج من الماء دخاناً وطيناً وزبداء فامر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من التربة الجبال ، وهذا الجاهل يقول ان الله خلق السموات والارض من الجزء الرابع من نور محمد سبحانه هذا بهتان عظيم .

فصل

وأما قول الملمح : اخرج الامام احمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وابو نعيم عن ميسرة الضبي قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد قال : المناوى في قوله متى كنت نبياً الحديث ،

ولم يقل انسانا ولا موجودا اشارة الى ان نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب دون عالم الشهادة ، فلما انتهى الزمان بالاسم الباطن الى وجود اسمه وارتباط الروح به ، انتقل الحكم الزماني في جريانه الى الاسم الظاهر ، فظهر بذاته جسما وروحا فكان الحكم له باطنا أولا في كل ما ظهر من الشرائع على ايدي الانبياء والرسل ثم صار له الحكم ظاهرا فنسخ كل شيء ابرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وان كان المشروع واحدا ، انتهى .

فالجواب ان يقال أما ما ذكره المناوي على هذا الحديث من قوله اشارة الى ان نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب دون عالم الشهادة الى آخره ، فهو من جنس الرموز والاشارات والاعتبار الذي سلكه المتصوفة من أهل السلوك ، ومن جنس ما يذكره صاحب الفصوص في الفتوحات ، ومن غلط ما يذكره أبو حامد الغزالي من الالفاظ المبتدعة المأخوذة عن الفلاسفة ، كلفظ عالم الغيب والملكوت ، وعالم الشهادة وغير ذلك من الالفاظ التي لا تذكر في شيء من الاحاديث ، وانما أصل هذه الالفاظ من وضع الفلاسفة واصطلاحاتهم ، فيعتبر هؤلاء بهذه العبارات المأخوذة عن الفلاسفة ، ويعملون مراد الله ورسوله ﷺ من الآيات والاحاديث على ما أرادوا من معاني هذه الالفاظ المبتدعة التي تخالف كتاب الله وسنة ورسوله ، ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ، ومما جاء عن سيد الانام ، انه ليس قبل خلق السموات والارض خلق من بني آدم أرواحاً ، ولا غيرها يسمى عالم الغيب ، ولا يوجد ذلك في كلام أئمة الاسلام ، وهذا بناء من هؤلاء على ان الارواح مخلوقة قبل خلق السموات والارض ، وعليه وضع الوضاعون تفرع خلق جميع المخلوقات جزءاً بعد جزء من نور محمد ﷺ ، والذي ذكره أهل العلم من الاحاديث انما هو تقدير ما هو كائن الى يوم القيامة ، فان الله تعالى قدر مقادير الخلق وانقسام الخلق الى سعيد وشقي ، وميزهم قبل خلق السموات والارض بمخمين ألف سنة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح : أن الله كتب مقادير

الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء
وسأني بيان ذلك فيما بعد انشاء الله تعالى ، ومن المعلوم ان رسول الله ﷺ ،
قد كان نبياً في سابق علم الله قبل ان يخلق السموات والارض ، فان الله قدر
ما هو كائن الى يوم القيامة ، ولم يكن ثم عالم غيب من الارواح لارواح الانبياء
ولا غيرهم من بنى آدم وهذا بخلاف ما قاله المناوي ، من ان نبوته كانت
موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب ، يعني أنه كان في أول الزمان في
عالم الغيب روح موجودة بالاسم الباطن ، ثم انتهى الزمان بالاسم الباطن الى
وجود جسمه وارتباط الروح به ، الى ان انتقل الحكم الزماني في جريانه الى
الاسم الظاهر ، فظهر بذاته جسماً وروحاً ، ومستنده في ذلك الحديث الذي
اخرجه البخاري في تاريخه ، واحمد والطبراني والحاكم والبيهقي وابونعيم ، عن
ميسرة الضبي قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً قال : وآدم بين الروح
والجسد . ومن المعلوم أن هذا الحديث مناف لما قاله المناوي فان ادم عليه
السلام انما خلقه الله بعد خلق السموات والارض بعد العصر من يوم الجمعة اخر
الخلق من اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل . ومعلوم ان
خلق الزمان قبل خلق ادم بمدة طويلة ، وانما قال ﷺ كنت نبياً وادم بين
الروح والجسد ، ولم يقل كنت نبياً في أول خلق الزمان بمعنى انه كان في
أول خلق الزمان روحاً موجودة قبل خلق العرش والماء والريح والقلم ،
وقبل خلق السموات والارض وقبل خلق أبيه ادم ، واخرج ﷺ في جملة
من اخرج لما مسح الله ظهر ادم بيده فاستخرج ذريته كامثال الذر فعلم ان
هذا الحديث مناقض لما قاله المناوي ومناف له قال شمس الدين بن القيم رحمه الله
تعالى وعفا عنه :

فصل

واما الدليل على ان خلق الارواح متأخر عن ابدانها فمن وجوه
احدها ان خلق أبي البشر واصلهم كان هكذا ، فان الله سبحانه ارسل

جبرائيل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم نفخ فيه الروح بعد ان صورته فلما دخلت الروح فيه صار لهما ودماً حياً ناطقاً ، ففني تفسير أبي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ، لما فرغ الله من خلق ما احب استوى على العرش ، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازناً ، فوقع في حذره فقال ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي ، وفي لفظ إلا لمزية لي على الملائكة ، فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا ربنا وما يكون حال الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً ، قالوا ربنا اجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : اني اعلم ما لا تعلمون يعني من شأن إبليس ، فبعث جبريل الى الارض يأتيه بطين منها ، فقالت الارض اعوذ بالله ان تقبض مني ، فرجع ولم يأخذ ، فقال : رب انها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها ، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال : وأنا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ أمره ، فأخذ من وجه الارض وخلط ولم يأخذ واحداً فأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به قبل الرب حتى عاد طينا لازبا ، واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض ، ثم قال للملائكة إني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه ، ليقول له تكبرت عما عملت بيدي ، ولم اتكبر انا عنده فخلقه بشراً فكان جسداً من طين اربعين سنة ، فمرت به الملائكة ففرغوا عنه لما رأوه وكان أشدهم منه فرعاً إبليس ، فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار ، يكون له صلصلة ، فلذلك يقول من صلصال كالفخار ، ويقول لا امر ما خلقت ، ودخل من فيه وخرج من دبره ، فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد ، وهذا جوف لثن

سلط عليه لأهلكه ، فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح ، قال : اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له ، ولما نفخ فيه الروح دخل الروح في رأسه فعطس ، فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال : الحمد لله فقال الله : يرحمك ربك ، فلما دخل في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه انتهى الطعام قبل ان تبلغ الروح رجله فنهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل وذكر باقي الحديث ، وذكر يونس بن عبد الاعلى اخبرنا بن وهب قال : حدثنا بن زيد قال : لما خلق النار دمرت منها الملائكة ذعراً شديداً . وقالوا ربنا لما خلقت هذه النار ولأى شيء خلقتها ؟ قال : لمن عصاني من خلقي ، ولم يكن الله خلق يومئذ الا الملائكة والارض وليس فيها خلق ، انما خلق ادم بعد ذلك ، وقرأ قوله (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ليت ذلك الحين ثم قال وقالت الملائكة ويأتي علينا دهر نعصيك فيه لا يرون له خلقا غيرهم قال لا اني أريد ان اخلق في الارض خلقاً واجعل فيها خليفة . وذكر الحديث قال ابن اسحق : فيقال والله اعلم خلق الله ادم ثم وضعه ينظر اليه اربعين عاماً قبل ان ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفضار ولم تمسه نار فيقال والله اعلم لما انتهى الروح الى رأسه عطس فقال الحمد لله فذكر الحديث فالقران والحديث . والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولما تعجبت من خلق النار وقالت لأى شيء خلقتها وهى ترى أرواح بنى آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والحديث ولما كانت أرواح الكفار كلها تبعاً لابليس بل كانت الارواح الكافرة مخلوقة قبل كفره فان الله سبحانه انما حكم عليه بالكفر بعد خلق بدن آدم وروحه ولم يكن قبل ذلك كافراً فكيف تكون الارواح قبله كافرة ومؤمنة وهو لم يكن اذ ذاك وهل حصل الكفر للأرواح الا بتزيينه واغوائه فالأرواح

الكافرة انما حدثت بعد كفره إلا أن يقال كانت كلها مؤمنة ثم ارتدت بسببه والذى احتجوا به على تقدم خلق الارواح بخلاف ذلك ، وفي حديث أبي هريرة في خلق العالم الاخبار عن خلق اجناس العالم وتأخر خلق آدم الى يوم الجمعة ولو كانت الارواح مخلوقة قبل خلق الاجساد لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة أيام فلما لم يخبر عن خلقها في هذه الايام علم ان خلقها تابع لخلق الذرية ، وتام الكلام في كتاب الروح فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه .

والمقصود أنه لم يكن هناك خالق يسمى عالم الغيب من بني آدم ونبينا ﷺ اشرف نسبه واكرمها على الله من بني آدم فعلمنا قطعاً ان تقرير هؤلاء على هذا الحديث غير صحيح بخلاف الكتاب والسنة وأقوال سلف الامة . والمقصود انه ذكر في الحديث الذي رواه عن الامام احمد والبخاري في تأريخه وغيرهما من رواه قوله متى كنت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد وقد تقدم في كلام ابن القيم عن ابن اسحاق وغيره انه كان بين نفخ الروح في آدم وبين تصوير جسده اربعون سنة وهذا مناف لما قال المناوى ان نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب فان خلق الزمان كان قبل ان يخلق الله ادم بمدة طويلة اللهم إلا ان كان اراد انه في علم الله الذي كتبه حين كتب مقادير كل شيء قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اذا تحققت ذلك فلا يقال ان عالم الغيب هو علم الله لان علم الله صفة قائمة بذاته وهو غير مخلوق وما سوى الله من العالم فهو مخلوق عالم الغيب وعالم الشهادة وقد كان من المعلوم ان ادم عليه السلام انما خلق بعد خلق السموات والارض اخر المخلوقات بعد هذا العدد المذكور ونبينا ﷺ اكرم نسمة على الله من بني ادم وهو سيد ولد ادم فاذا عرفت هذا عرفت ان كلام المناوى من غلط ما يقوله أبو حامد الغزالي حيث قال : وأما الافعال فبحر متسعة اكثافه ولا ينال بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله وافعاله فكل ما سواه فعلة لكن القرآن اشتمل على الخلق منها الواقع في عالم الشهادة كذكر السموات والكواكب والارض والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات وسائر

أنصاف النبات وهي التي ظهرت للحس وأشرف أفعاله وأعجبها وادلها على جلالة صانعها مالا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت وهي الملائكية الروحانية والروح والقلب اعنى العارف بالله تعالى من جملة اجزاء الآدمي فانها أيضاً من جملة عالم الغيب والملكوت ، وخارج عن عالم الملك والشهادة ، وذكر كلاما لا حاجة بنا اليه ، لكن المقصود انه زعم ان الروح من جملة عالم الغيب والملكوت ، قال : شيخ الاسلام على هذا الكلام ، فهذا الكلام يستعظمه في بادئ الرأي ، أو مطلقا ، من لم يعرف حقيقة ما جاء به الرسول ولم يعلم حقيقة الفلسفة التي طبق هذا الكلام عليها وعبر عنها بعبارات المسلمين . فأما قول القائل ان القرآن اشتمل على الخلق ، وهي التي ظهرت للحس وأشرف أفعال الله تعالى مالا يظهر للحس ، يعنى ولم يشتمل القرآن عليه ، فهذا مع ما فيه من الغض بالقرآن ، وذكر استماله على القسم الناقص دون الكامل ، وتطرق أهل الاحاد الى الاستخفاف بما جاءت به الرسل ، هو كذب صريح يعلم صبيان المسلمين انه كذب على القرآن ، فان في القرآن من الاخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغير ذلك مالا يخفي على أحد ، وهو اكثر من ان يذكر هنا ، وفي القرآن من الاخبار بصفات الملائكة وأنصافهم وأهمالهم مالا يهتدي هؤلاء الى عشره ، اذ ليس عندهم من ذلك إلا شيء قليل مجمل ، بل الرسول انما بعث ليخبرنا بالغيب والمؤمن من آمن بالغيب وما ذكره من المشاهدات ، فانما ذكره آية ودلالة وبينه على ما أخبر به من الغيب ، فهذا وسيلة وذلك هو المقصود . ثم يقال انه انما ذكر الوسيلة ، ياسبحان الله اذا لم يكن الاخبار عن هذا القسم في هذا الكتاب الذي ليس تحت اديم السماء كتاب اشرف منه ، وعلم هذا لا يوجد عن الرسول الذي هو أفضل خلق الله تعالى في كل شيء في العلم والتعليم وغير ذلك ، ايكون ذكره هذا في كلام ارسطوا وذويه ، وأصحاب رسائل اخوان الصفا ، وأمثال هؤلاء الذين يثبتون ذلك بأقنسة مشتملة على دعاوى مجردة ، لا نقل صحيح ولا عقل صريح . بل تشبه الاقنسة الطردية الحالية عن التأثير وتعود عند التحقيق الى خيالات

لاحقيقة لها في الخارج ، كما سنبينه ، وكذلك روح الانسان وقلبه في الكتاب والسنة من الاخبار عن ذلك مالا يحصيه الا الله . ثم تكلم على ما اخطأ فيه من ذكر الملائكة وما يتضمن ذلك ، والمقصود انما ذكره هذا الملحد عن المناوي ان كان النقل صحيحاً فهو من جنس ما يذكره أبو حامد بما يعود حقيقة عند التحقيق الى خيالات لاحقيقة لها في الخارج .

وأما ما ذكره من هذين الاسمين الشريفين فلا يدلان على ما ذكره لا لفظاً ولا معنى ولا علاقة بينهما وبين ما ذكره ولا ارتباط بوجه من الوجوه لا بإشارة ولا بتلويح ولا بتصريح ، وقد فسرا علم الخلق بربه هذه الآية : قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) بانه هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء ، فقوله ﷺ « الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء » يدلان العبد على معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته وان العوالم كلها في قبضته وان السوات السبع والارضين السبع في يده كخردلة في يد العبد ، قال تعالى (واذا قلنا لك ان ربك احاط بالناس) وقال (والله من وراءهم محيط) ، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين اسم العلو الدال على انه الظاهر وانه لا شيء فوقه واسم العظمة الدال على الاحاطة وانه لا شيء دونه ، كما قال تعالى (وهو العلي الكبير) وقال تعالى (والله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) وهو تبارك وتعالى كما انه العالی فوق خلقه بذاته ، فليس فوقه شيء فهو الباطن بذاته فليس دونه شيء ، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه وبطن فكان اقرب الى كل شيء من نفسه ، وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه وكل شيء في قبضته وليس في قبضة نفسه فهذا قرب الاحاطة العامة .

وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائله فمعرفة هذه الاسماء الاربعة وهي الاول والآخر والظاهر والباطن هي اركان

العلم والمعرفة فحقيق بالبعد ان يبلغ في معرفتها الى حيث تنتهى به قواه وفهمه ، واعلم ان لك انت أولاً و آخراً وظاهراً وباطناً بل كل شيء فله أول و آخر وظاهر وباطن حتى الخطرة واللحظة والنفس وادنى من ذلك واكثر ، فأوليته عز وجل سابقة على أولية كل ما سواه ، و آخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه ، فأوليته سبقه بكل شيء ، و آخريته بقاؤه بعد كل شيء ، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء ، ومعنى الظهور يقتضى العلو وظاهر الشيء هو ما علا منه واحاط بباطنه ، وبطونه سبحانه احاطته بكل شيء بحيث يكون اقرب اليه من نفسه ، وهذا قرب غير قرب الحب من حبيبه وهى احاطتان زمانية ومكانية ، فاحاطة أوليته و آخريته بالقبل والبعد فكل سابق انتهى الى اوليته وكل اخر انتهى الى آخريته فاحاطت اوليته و آخريته بالاول والاولى و الآخر و احاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن ، فما من ظاهر الا والله فوقه ، وما من باطن الا والله دونه وما من أول الا والله قبله وما من اخر الا والله بعده ، فالاول قدمه والآخر دوامه والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه فسبق كل شيء بأوليته وبقي كل شيء بآخريته وعلا كل شيء بظهوره ودنا عن كل شيء ببطونه فلا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا يجب عنه ظاهر باطناً بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة والبعيد منه قريب والسر عنده علانية ، فهذه الاسماء الاربعة تشتمل على اركان التوحيد ، فهو الاول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولاً و آخراً وظاهراً وباطناً ، انتهى ملخصاً من سفر المهجرتين .

فتبين بما ذكرناه ان لا تعلق لهذين الاسمين الشريفين بشيء بما ذكره المناوي وانما هو من التفريعات والرموزات والاشارات التي لا حقيقة لها عند التحقيق ولا قوام لها بالثبات على الطريق وان زعموا ان هذا من علم المكاشفة فهو عند التحقيق مكاشفة .

فاذا عرفت هذا وتحققت انه لم يكن قبل خلق المخلوقات عالم من ارواح بني

ادم يسمى عالم الغيب وان أول ما خلق الله العرش والماء والريح ثم خلق القلم وكتب في الذكر كل شيء كائن الى يوم القيامة علمت يقينا أن ما ذكره القسطلاني والمناوي من الترهات والا كاذيب الموضوعات وان هذا الحديث المروي عن جابر كذب مختلق وان الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ هو التقدير السابق كما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب أخبرني ابو هاني الحولاني عن ابي عبد الرحمن الجلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء » ورواه مسلم أيضاً من حديث حيوة ونافع ابن يزيد كلاهما عن ابي هاني الحولاني انه سمع ابا عبد الرحمن الجلي انه سمع رسول الله ﷺ يقول « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة » ورواه البيهقي أيضاً من حديث ابي مریم حدثنا الليث ونافع بن يزيد قالوا حدثنا ابو هاني عن ابي عبد الرحمن الجلي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « فرغ الله من المقادير وأمرور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وعرشه على الماء بخمسين الف سنة » ففي هذا الحديث الصحيح ما في ذلك الحديث من انه قدر المقادير وعرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والارض ، لكن بين فيه مقدار السبق ان ذلك قبل السموات والارض بخمسين الف سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم لو كان ما ذكره المناوي والقسطلاني حقاً ثابتاً معلوماً عند أصحاب رسول الله ﷺ لذكره العباس بن عبد المطلب لما امتدح رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك ، ففي السيرة النبوية روي زحر بن حصن عن جده حميد ابن منهب قال سمعت جدي خزيم بن اوس بن حارثة يقول هاجرت الى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول يا رسول الله اريد ان امدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا وأهله الفرق
تنقل من صالب إلى رحم اذا مضى عالم بدا طيق
حتى احتوى بيتك المهين من خندف عليا تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

الظلال ظلال الجنة قال الله تعالى (ان المتقين في ظلال وعيون) والمستودع
هو الموضع الذي كان آدم وحواء يخصفان فيه عليهما من ورق الجنة اي يظمان
بعضه إلى بعض يستتران به ، ثم هبطت الى الدنيا في صلب آدم وانت لابشره
ولا مضعة ، وقوله تركب السفين يعنى في صلب نوح وصالب لغة غريبة في
الصلب الفتحتان كسقم وسقم ، والطبق القرن أى كلما مضى عالم وقرن جاء
قرن ، ولأن القرن يطبق الارض والنطق جمع نطق وهو ما يشد به الوسط
ومنه المنطقة أى انت اوسط قومك نسباً وجعله في عليا وجعلهم تحته نطاقاً ،
وضاءت لغة في اضاءت انتهى .

وهذا يعلم انه لم يكن عندهم اعني الصحابة رضي الله عنهم خصوصاً أهل
بيته ان الله خلق نور محمد من نوره قبل ان يخلق الاشياء كلها ولا أن العرش
واللوح والقلم والملائكة والجنة والنار وسائر المخلوقات خلقها الله من نور محمد
جزءاً بعد جزء وخلقاً بعد خلق .
ثم ذكر هذا الملحد كلاماً لا حاجة بنا إلى الجواب عنه .

فصل

قال الملحد : الباب الاول في الآيات القرآنية الدالة على جواز التوسل به ،
وذكر بعض الآيات التي قرن الله بها اسمه باسم النبي ﷺ وما يتعلق في بيان
ذلك ، قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقال تعالى في شأن أهل أحد ، (فاعف
(م ٣ - الصواعق)

عنهم واستغفر لهم ، وقال تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) .
والجواب أن يقال : قد سبق هذا الملحد إلى الاستدلال بهذه الآية من
المشبهين اقوام وذكروا من الشبه نحو ما ذكره هذا وأكثر واعظم تليسياً
وتقوياً واجابهم على ذلك الائمة الجهابذة الحفاظ الذين هم القدوة وبهم الاسوة
وحسبنا ما ذكروه ووضحوه في هذه المسائل .

فقال الامام الحافظ المحقق ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي الحنبلي
المقدسي ، قدس الله روحه على ما ذكره السبكي ، فأما استدلاله بقوله تعالى
(ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية . فالكلام فيها في مقامين (احدها)
عدم دلالتها على مطلوبه (الثانية) بيان دلالتها على نقيضه ، وانما يتبين الامر ان
بفهم الآية وما اريد بها وسيقت له ، وما فهمه منها اعلم الامة بالقرآن ومعانيه
وهم سلف الامة ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف الا
المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم ، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء اذا
ظلم نفسه واخبر انه من المنافقين . فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤسهم ورأيتم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه
الآية انما هي في المناق في الذي رضي بحكم كعب بن الاشرف وغيره من
الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ ، فظلم نفسه بهذا اعظم ظلم ثم لم يجيء الى
رسول الله ﷺ ليستغفر له ، فان المجيء اليه ليستغفر له توبة وتصل من
الذنب وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ ، ان احدهم متى صدر منه ما يقتضي
التوبة جاء اليه فقال : يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، وكان هذا
فرقاً بينهم وبين المنافقين ، فلما استأثر الله عز وجل بنبيه ﷺ ونقله من
بين ظهورهم الى دار كرامته ، لم يكن احد منهم قط يأتي الى قبره ، ويقول
يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن نقل هذا عن احد منهم
فقد جاهر بالكذب والبهت وافترى على كل الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم
خير القرون على الاطلاق حيث تركوا هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه من
تخلف عنه وجعل التخلف عنه من امارات النفاق ، وكيف اغفل هذا الامر

أئمة الاسلام وهداة الانام ، من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق في الامة ، فلم يدعوا إليه ولم يرشدوا إليه ولم يفعلوا احد منهم البتة ، ووفق له من لا يوبه له من الناس ولا يعد في أهل العلم ، بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف بما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك الجفافة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية .

ولما كان هذا المنقول شجا في حلق الغلاة وقذى في عيونهم وريبة في قلوبهم قابلوه بالكذب والطعن في الناقل ، ومن استحيا منهم من أهل العلم بالأثار قابله بالتحريف والتبديل ، ويأبى الله إلا أن يعلي منار الحق ويظهر أدلته ليهتدى المسترشد وتقوم الحججة على المعاند ، فيعلى الله بالحق من يشاء ويضع برده وبطره وغصص أهله من يشاء . والله العجب اكان ظلم الامة لأنفسها ونبيها حيّ بين اظهرها موجود ، وقد دعيت فيه الى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء ، فلما توفى ﷺ ارتفع ظامها لانفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم الى المجيء اليه ليستغفر له ، وهذا يبين ان هذا التأويل الذي تأول عليه المعارض هذه الآية ، تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا اليه علماً وعملاً وارشاداً ونصيحة ، ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة ، لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للامة ، فان هذا يتضمن انهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى اليه هذا المعارض المستأخر ، فكيف اذا كان التأويل بخلاف تأويلهم ويناقضه وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده ، وانما ننبه عليه بعض التنبيه . وبما يدل على بطلان تأويله قطعاً أنه لا يشك مسلم ان من دعى الى رسول الله ﷺ في حياته ، وقد ظلم نفسه ليستغفر له فاعرض عن المجيء واباه مع قدرته عليه ، كان مذموماً غاية الذم مغموصاً بالنفاق ، ولا كان كذلك من دعى الى قبره ليستغفر له ، ومن سوى بين الامر بين المدعوي وبين الدعوتين ، فقد جاهر بالباطل وقال على الله وكلامه ورسوله وامناء دينه غير الحق . وأما دلالة الآية على خلاف تأويلها ، فهو انه سبحانه صدورها بقوله (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ،

ولوانهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، وهذا يدل على أن مجيئهم اليه ليستغفر لهم اذ ظلموا أنفسهم طاعة له ، ولهذا اذم من تخلف عن هذه الطاعة ، ولم يقل مسلم ان على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب الى قبره ويسأله ان يستغفر له ، ولو كان هذا طاعة له ، لكان خير القرون عصوا هذه الطاعة وعطلوها ، ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة ، وهذا بخلاف قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفى الايمان عن من لم يحكمه ، وتحكيمة ما جاء به حيا وميتا ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه ، يوضح ذلك انه قال « لاتجعلوا قبري عيدا » ، ولو كان يشرع لكل مذب أن يأتي الى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به ، انتهى .

وأما قول الملحد . وقال تعالى : في شأن أهل اُحدٍ (فاعف عنهم واستغفر لهم) وقال تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) . فنقول : هذا كان في حياته بأبي هو وأمي وقد فعل ما امره الله به ، وأما بعد وفاته فحاشا وكلا ، ولو كان مشروعا بعد موته لافر به أمته وحضهم عليه ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة وتابعوهم باحسان ارجب شيء فيه واسبق اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط ، وهم القدوة بنوع من نوع الاسانيد انه جاء الى قبره ليستغفر له ويستسكي اليه ويسأله ، والذي صح عنه من الصحابة مجيء القبر هو ابن عمر وحده ، انما كان مجيء للتسليم عليه ﷺ وعلى صاحبيه عند قدومه من سفر ، ولم يكن يزيد على التسليم شيئا ، ومع هذا فقد قال عبيد الله بن عمر العمري الذي هو أجل أصحاب نافع مولى ابن عمر أو من أجلهم ، لانعلم أحدا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك الا بن عمر . ومعلوم انه لا هدي اكمل من هدى الصحابة ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، فمن خالفهم اما ان يكون اهدى منهم أو مرتكب لنوع بدعة ، كما قال عبد الله بن مسعود : - لقوم رأهم اجتمعوا على ذكر يقولونه بينهم - لانتم اهدى من أصحاب محمد او انكم على شعبة ضلالة ، فتبين لو كان استغفاره لمن جاء مستغفرا بعد موته

ممكنا أو مشروعا ، لكان كمال شفقتة ورحمته بل رأفة مرسله ورحمته بالامة تقتضى ترغيبهم في ذلك وحظهم عليه ومبادرة خير القرون اليه ، انتهى . وأما قوله فان قال : وهابي هذا في حياته ﷺ .

فالجواب ان نقول : نعم ، هذا قول الوهابية وبه قال أهل العلم قديماً وحديثاً ، ولم يخالفهم الا كل مبتدع ضال مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، واجماع سلف الامة وأئمتها كما تقدم بيانه ، وأما قوله : فأقول قد انعقد الاجماع على حياته في قبره ﷺ .

فالجواب أن نقول دعوى هذا الملحدان الاجماع انعقد على حياته في قبره ﷺ ، مصادمة لقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اِذْ اِنْ مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الآية . وقوله قد خلت من قبله الرسل اِذْ اِنْ مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الآية . وقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) . ومن المعلوم انه لم يكن ﷺ حياً في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة التي تقوم فيها الروح بالبدن ، وتدبره وتصرفه ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس والنكاح وغير ذلك ، بل حياته ﷺ حياة برزخية وروحه في الرفيق الاعلى ، وكذلك ارواح الانبياء ، والارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ، فمنها ارواح في اعلا عليين في الملأ الاعلى ، وهي ارواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الاسراء ونبينا ﷺ في المنزلة العليا التي هي الوسيلة . قال ابن القيم : رحمه الله تعالى في كتاب الروح بعد كلام طويل : وقد بينا ان عرض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار ، لا يدل على ان الروح في القبر ولا على فنائه دائماً من جميع الوجوه بل لها اشراف واتصال بالقبر وفنائه ، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده فان للروح شأن آخر تكون في الرفيق الاعلى في أعلى عليين ، ولها اتصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت ودأته عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملأ الاعلى وانما يغلط اكثر الناس في هذا الموضع ، حيث يعتقد ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام ، اذا شغلت مكاناً لم يمكن ان تكون في غيره ،

وهذا غلط محض ، بل الروح تكون فوق السموات في أعلا عليين فتزد الى القبر وترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها ، وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الاعلى دائماً ، ويردها الله سبحانه وتعالى الى القبر فيرد السلام على من يسلم عليه ويسمع كلامه ، وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة والسابعة ، فاما ان تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر ، وأما ان يكون متصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس ، وجرمها في السماء انتهى .

وقال ابن القيم : رحمه الله تعالى في « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » .

فصل

في الكلام في حياة الانبياء في قبورهم

ولاجل هذا رام ناصر قولكم	ترقيعه يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما	قد كان فوق الارض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك التراب والاد	بنات قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته	قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الارض بل من فوقها	والله هذي سنة الرحمن
أتراه تحت الارض حياً ثم لا	يفتيهم بشرائع الايمان
ويريح أمته من الآراء وال	يخلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه	وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة الا قد	اثبتوها أوضحوا ببيان
هذا ولم لا جاءه أصحابه	يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم	حي يشاهدهم شهود عيان
هل جاءكم اثر بأن صحابه	سألوه فتيا وهو في الاكفان

فأجابهم بجواب حي ناطق
هلا اجابهم جوابا شافيا
هذا وما شدد ركائبه عن الـ
مع شدة الحرص العظيم له على
اتراه يشهد رأيهم وخلافهم
ان قلتوا سبق البيان صدقتوا
هذا وكم من أمرا شكل بعده
أو ما ترى الفاروق ود بانه
بالجد في ميراثه وكرالته
قد قصر الفاروق عند فريقكم
اتراهم يأتون حول ضريحه
ونبيهم حي يشاهدكم ويسـ
افكان يعجزان بحبيب بقوله
يا قومنا استحيوا من العلاء والـ
والله لا قدر الرسول عرفتمو
من كان هذا اللقدر مبلغ علمه
ولقد ابان الله ان رسوله
افجاء ان الله باعثه لنا
اثلاث موتات تكون لرسله
اذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ
افهل يموت الرسل أم يبقوا اذا
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجـ
أولم يقل من قبلكم للرافعي الا
لا ترفعوا الاصوات حرمة عبده
قد كان يمكنهم يقولوا إنه

فأتوا اذاً بالحق والبرهان
ان كان حيا ناطقا بلسان
حجرات للقاضي من البلدان
ارشادهم بطرائق التبيان
ويكون للتبيان ذا كتمان
قد كان بال تكرار ذا احسان
اعنى على العلماء كل زمان
قد كان منه العهد ذا تبيان
وبعض أبواب الربا الفتان
اذ لم يسله وهو في الاكفان
لسؤال امهمو أغز حسان
مهم ولا يأتي لهم ببيان
ان كان حيا داخل البنيان
سبعوث بالقرآن والرحمان
كلا ولا للنفس والانسان
فليستتر بالصمت والكتمان
ميت كما قد جاء في القرآن
في القبر قبل قيامة الأبدان
ولغيرهم من خلقه موتان
في الارض حيا قط بالبرهان
مات الوري أم هل لكم قولان
ثوا بالدليل فحن ذو أذهان
صوات حول القبر بالكران
ميتا كحرمة لدى الحيوان
حي فعضوا الصوت بالا حسان

لكنهم بالله اعلم منكمو ورسوله وحقائق الايمان
ولقد اتوا يوماً إلى العباس به تسقون من قحط وجذب زمان
هذا وبينهم وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان
فنيهم حي ويستسقون غ ير نبيهم حاشا أولى الايمان

فصل

فما احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه حي كما قد جاء في القرآن
والرسل اكمل حالة منه بلا شك وهذا ظاهر التبيان
فلذا كنوا بالحياة أحق من شهدائنا بالعقل والايمان
وبأن عقد نساته لم ينفسخ فمساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الازمان
أفليس في هذا دليل أنه حي لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائماً في قبره لصلاة ذي القربان
أنهيت يأتي الصلاة وإن ذا عين الحال وواضح البطلان
أو لم يقل اني اردت على الذي يأتي بتسليم مع الاحسان
أورد ميت السلام على الذي يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم احياء في الاجداث ذات البيان
وبأن أعمال العباد عليه تع رض دائماً في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشأن

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذلك حجتنا عليكم وهي ذات بيان
ان الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الاركان

هذا مع النهي المؤكد اننا
ونسأؤه حل لنا من بعده
هذا وان الارض تأكل لحمه
لكنه مع ذاك حي فارح
فالرسل أولى بالحياة لديه مع
وهي الطرية في التراب وأكلها
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا
فانظر الى قلب الدليل عليهم
لكن رسول الله خص نسأؤه
خير من بين رسوله وسواه فاح
شكر الاله لمن ذاك وربنا
قصر الرسول على أولئك رحمة
وكذاك أيضاً قصرهن عليه مع
زوجاته في هذه الدنيا وفي الا
فلذا حرم من على سواه بعده
لكن اتين بعدة شرعية
هذا ورويته الكليم مصليا
في القلب منه حسيكة هل قاله
ولذاك أعرض في الصحيح محمد
والدارقطني الامام اعلمه
أنس يقول رأى الكليم مصليا
بين السياق إلى السياق تفاوتاً
لكن لا تقلد مسلم وسواه ممن صح هذا عنده ببيان
فرواته الاثبات أعلام الهدى
لكن هذا ليس مختصاً به
ندعوه ميثاً ذاك في القرآن
والمال مقسوم على السهمان
وسباعها مع أمة الديدان
مستبشر بكرامة الرحمان
موت الجسوم وهذه الابدان
فهو الحرام عليه بالبرهان
أيضاً وقد وجدوه رأى عيان
حرفاً بحرف ظاهر التبيان
بخصيصة عن سائر النسوان
ترون الرسول لصحة الايمان
سبحانه للعبد ذو شكران
منه بهن وشكر ذى الاحسان
لوم بلا شك ولا حسابان
خرى يقيناً واضح البرهان
إذ ذاك صون عن فراش ثان
فيها الحدود وملزم الاوطان
في قبره أثر عظيم الشان
فالحق ما قد قال ذو البرهان
عنه على عهد بلا نسيان
برواية معلومة التبيان
في قبره فاعجب لذا الفرقان
لا تطرحه فما هما سيان
لكن هذا عنده ببيان
حفاظ هذا الدين في الازمان
والله ذو فضل وذو احسان

فروى ابن حبان الصدوق وغيره
فيه صلاة العصر في قبر الذي
فتمثل الشمس الذي قد كان يز
عند الغروب يخاف فوت صلاته
حتى أصلي العصر قبل فواتها
هذا مع الموت المحقق لا الذي
هذا وثابت البناني قد دعا الر
ان لا يزال مصلياً في قبره
لكن رؤيته لموسى ليلة المع
يروي أصحاب الصحاح جميعهم
ولذلك ظن معارضاً لصلاته
وأجيب عنه بأنه اسرى به
فراه ثم وفي الضريح وليس ذا
هذا ورد نبينا لسلام من
ما ذاك مختصاً به أيضاً كما
من زار قبر أخ له فأتى بتنه
رد الاله عليه حقاً روحه
وحديث ذكر حياتهم بقبورهم
فانظر إلى الاسناد تعرف حاله
هذا ونحن نقول هم احياء لـ
والترب تحتهم وفوق رؤسهم
مثل الذي قد قلموه معاذنا
بل عند ربهم تعالى مثلما
لكن حياتهم اجل وحالهم
هذا واما عرض اعمال العبا

خبراً صحيحاً عنده ذا شان
قد مات وهو محقق الايمان
عاهها لاجل صلاة ذى القربان
فيقول للملكين هل تدعان
قالا سنفعل ذاك بعد الآن
حكيت لنا بثبوت القولات
حمان دعوة صادق الايقان
ان كان اعطا ذاك من انسان
راج فوق جميع ذى الاكوان
والقطع موجه بلا نكران
في قبره إذ ليس يجتمعان
ليراه ثم مشاهدآ بعيان
بتناقض إذ امكن الوقتان
يأتي بتسليم مع الاحسان
قد قاله المبعوث بالقرآن
ليم عليه وهو ذو ايمان
حتى يرد عليه رد بيان
لما يصح وظاهر النكران
إن كنت ذا علم بهذا الشأن
كن عندنا كحياة ذى الابدان
وعن الشمائل ثم عن ايمان
بالله من افك ومن بهتان
قد قال في الشهداء في القرآن
اعلى واكمل عند ذى الاحسان
د عليه فهو الحق ذو امكان

واتي به أثر فان صح الحديث
لكن هذا ليس مختصا به
فعلى ابي الانسان يعرض سعيه
ان كان سعيه صالحا فرحوا به
أو كان سعيه سيئا حزنوا وقا
ولذا استعاذ من الصحابة من روى
يارب اني عائد من خزبة
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة المح
لكن هذا ذو اختصاص والذي
هذي نهايات لاقدام الوري
والحق فيه ليس تحمله عقو
ولجلهم بالروح مع أحكامها
فارض الذي رضي الاله لهم به
هل في عقولهم بان الروح في
وترد أوقات السلام عليه من
وكذاك ان زرت القبور مسلما
فهمو يردون السلام عليك ل
هذا واجواف الطيور الحضر مس
من ليس يحمل عقله هذا فلا
للروح شأن غير ذي الاجسام لا
وهو الذي حار الوري فيه فلم
هذا وامر فوق ذا لو قلته
فلذاك امسكت العنان ولو اري
هذا وقولى انها مخلوقة
هذا وقولى انها ليست كما

به فحق ليس ذا نكران
أيضا بآثار روين حسان
وعلى أقاربه مع الاخوان
واستبشروا بالذة الفرخان
لوارب راجعه الى الاحسان
هذا الحديث عقيب بليات
اخزى بها عند القريب الدان
سبو بالغفران والرضوان
للمصطفى ما يعمل الثقلاء
في ذا المقام الضنك صعب الشان
ل بني الزمان لغلظة الأذهان
وصفاتنا للألف بالابدان
اتريد تنقض حكمة الديان ؟
أعلى الرفيق مقية بجنان
اتباعه في سائر الازمان ؟
ردت لهم أرواحهم الآن
كن لست تسمعه بذي الأذنان
كنها لدى الجنات والرضوان
تظلمه واعذره على النكران
تهمله شأن الروح اعجب شان
يعرفه غير الفرد في الازمان
بادرت بالانكار والعدوان
ذاك الرفيق جريت في الميدان
وحدوثها المعلوم بالبرهان
قد قال أهل الافك والبهتان

لا داخل فينا ولا هي خارج عنا كما قالوه في الديان
والله لا الرحمن اثبت ولا أرواحكم يامدعى العرفان
عطتمو الابدان من أرواحها والعرش عطلم من الرحمان
وهذا الذي ذكره الحافظ شمس الدين هو مقتضى الكتاب والسنة وعليه
سلف الامة وأثمتها وبما ذكره كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

فصل

قال الملحد : كيف لا وقد اخرج البخاري ومسلم وابوداود عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة »
فرويته يقظة اكبر دليل على حياته ﷺ .

والجواب ان يقال : هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وابوداود في
سننه لا يدل على أن الرسول ﷺ يُرى يقظة في الدنيا كما كان يرى حيا قبل
أن يموت وكذلك ليس بصريح في ان النبي ﷺ حي في قبره الحياة المعهودة
في الدنيا ولا فيه دلالة على جواز التوسل به فضلا عن ان يدعا ويستغاث به
ويرجى في كشف الشدائد والمهمات لتفريج الكربات واغاثة اللفات وان
يصرف له شيء من خالص ما لرب الارض والسموات من جميع أنواع العبادات
التي صرفها المشركون لغير الله من المعبودات .

قال في السراج الوهاج على قوله فسيراني في اليقظة : أي سيراني يوم القيامة
رؤيا خاصة في القرب منه ، أو من رآني في المنام ولم يكن هاجر يوفقه الله
للهجرة الى والتشرف بلقائي ويكون الله جعل رؤيته في المنام علما على رؤياه
في اليقظة ، قال في المصابيح : وعلى الأول ففيه بشارة لرآئيه بأنه يموت على
الاسلام وكفي بها بشارة وذلك انه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار
القرب منه الا من تحقق منه الوفاة على الاسلام حقق الله لنا ولا حباينا
والمسلمين المتبعين ذلك بنه وكرمه ، أو لكأنما رآني في اليقظة لا يتسل الشيطان
بي . قال العلماء : ان كان الواقع في نفس الامر لكأنما رآني فهو كقوله

فقد رأي . أو فقد رأى الحق ، وان كان سيواني في اليقظة ففيه أقوال ، وسيأتي تفسيرها احدها المراد به اهل عصره . الثاني انه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة . الثالث : يراه في الآخرة رؤيا خاصة في القرب منه وحول شفاعته ونحو ذلك والله أعلم ، انتهى .

فغاية ما في هذا الحديث ان من رآه في المنام فسيراه في اليقظة في الآخرة رؤيا خاصة باعتبار القرب منه أو يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة وليس فيه انه حي في قبره كحياته في الدنيا لانصريحاً ولا تلويحاً وانما هذه الدعوى المجردة عن الدليل من تصرف هؤلاء الغلاة واعتقادهم الباطل المخالف لكتاب الله وسنة رسوله وكلام سلف الأمة وأئمتها .

وأما حياة الأنبياء في قبورهم ورؤيته ﷺ لموسى قائماً يصلي في قبره فقد تقدم الجواب عنه في كلام الحافظ ابن القيم رحمه الله وبه الكفاية .

وأما قوله : وقد وقع الاخبار برؤيته ﷺ يقظة لجماعة من الأولياء اشتهرت كراماتهم وعلة مقاماتهم واستقامت أحوالهم وجاءت على طبق الشريعة أقوالهم من الخواص القائمين بالمراقبة وصحة التوجه على قدم الصدق ونهج الحق كالشيخ عبد القادر الكيلاني وابي العباس المرسى وسيدي علي وفاء وغيرهم من الاكابر فلا يقدم على تكذيبهم فيما اخبروا به بطريق الجزم عن انفسهم الامتناع .

فالجواب ان يقال : ان رؤيته ﷺ يقظة في هذه الدنيا من أحل المحال وأبطل الباطل ، فان الله تعالى قد قبضه اليه واستأثر به ورفعته الى الرفيق الأعلى وانما يتصور وجود هذا مناما فمن رآه في المنام وكان من أهل الصلاح وعلى صفته التي هو عليها فقد رآه حقاً ، فان الشيطان لا يتمثل به .

وأما يقظة فهو من التخيلات الشيطانية التي اغوى بها الشيطان كثيراً من الناس ممن يدعى الولاية ، فان منهم من يرى اشخاصا في اليقظة يدعى احدهم انه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد ، وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات والجن

الذين يقترون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطيء فان كان الأنسى كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال وقد يعاونونه اذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر فيفتروا هؤلاء كثير من الناس ممن قلت معرفته وغلظ حجاب قلبه عن معرفة الحق من الباطل .

وهؤلاء كما قال شيخ الاسلام نجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الحارقة للعادة مثل أن يشير الى شخص فيموت أو يطير في الهواء أو ينفق بعض الأوقات من الغيب أو يختفي أحياناً عن أعين الناس أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فراه قد جاءه فقضي حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور ما يدل على ان صاحبها ولي الله بل قد اتفق أولياء الله على ان الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يفتروا به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقتة لامره ونهيه ، وكرامات الأولياء أعظم من هذه الأمور الحارقة للعادة وان كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله ، فان هذه الحوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز ان يظن ان كل من كان له شيء من هذه الأمور انه ولي الله بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الايمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة انتهى .

وأما من ذكر من هؤلاء الذين يزعم انهم أولياء فأما الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله وأمثاله ممن هو على طريقته وسيرته فهو من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين ، وله من الاحوال الايمانية والمآثر السنية الدالة على متابعة الكتاب والسنة ما هو معروف من حاله ومقاله ، ولكنه تجارى عليه الملاحدون ووضعوا عليه اوضاعاً ونسبوا اليه أقوالاً هو بريء منها ، ومن جملتها هذه

الحكاية التي لا أصل لها ولا نقلها عنه من هو مأمون على الدين معروف بالصدق واليقين .

وأما من عداه من هؤلاء الذين ذكر انهم من اكابر أولياء الله من لانعرف حالهم فالأقدام على تكذيبهم فيما أخبروا به بطريق الجزم عن أنفسهم هو من الامور التي يحبها الله ويرضاها ومن رد الباطل على من قال به ، اذ من المعلوم بالضرورة ان رؤيته ﷺ يقظة في هذه الدنيا لاتصح لا من الشيخ عبد القادر ولا من هو أجل منه فضلاً عن هو دونه لان دعوى ذلك من المكابرة في الحسيات والمباهة في الضروريات والله اعلم .

وأما قوله :

واذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالابصار
فالجواب :

اقول من المحال نراه حيا
فغير مسلم تسليم هذا
وهذا لا يكون فقد اتانا
بأن المصطفى قد مات حقاً
على كل الخلائق ليس يبقى
فاما في المنام فذلك حق
وأما يقظة فيراه حيا
وتدبير وتصريف ويدري
فدعوى هذه دعوى لعبري
فإذا تحققت هذا فهو لاء لم تكن أحوالهم وخوارقهم أحوالا وخوارق
إيمانية وانما كانت أبصارهم وحقائق أحوالهم خيالات شيطانية وعلى غير متابعة
الكتاب والسنة مبنية ، فلا يلتفت الى أقوالهم ولا يعول على ما ادّعوه من
أحوالهم لانها عن الحقائق الإيمانية خالية ، وأقوالهم عن الدليل عارية .
وأما قوله : فالآية (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر

لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً (منسحب الى الآن والى ما شاء الله .

فأقول : هذا غير مسلم وقد تقدم الجواب عن هذا فراجعه .

واما قوله : ولذا ترى العلماء جميعاً ذكروا في باب زيارة قبر النبي ﷺ ان الانسان عند المقابلة يتلوا هذه الآية الكريمة كما يأتي نقل ذلك عنهم في الباب الثالث .

فالجواب ان يقال : نسبة هذا الى العلماء جميعهم من ابطال الباطل واحمل الحال ، وانما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن اعرابي أتى قبر النبي ﷺ وتلا هذه الآية واستحبها طائفة من متأخري الفقهاء من اصحاب الشافعي واحمد ، وسيأتي الكلام على هذا ان شاء الله تعالى .

واما الأئمة وعلماء السلف فلم يذكره أحد منهم ، ولا استحب أحد منهم سؤال النبي ﷺ الاستغفار بعد موته ولا غير ذلك البتة ، فنسبته الى العلماء كالم من الكذب عليهم كما سنبينه ، والحكايات والمنامات لا يثبت بها حكم شرعي ولا يسوغ مثل هذا الا في دين النصارى ، فان دينهم مبني على الحكايات والمنامات والافاضات المخترعات . واما دين الاسلام فهو محفوظ بالاسناد ، فلا يثبت حكم شرعي الا بكتاب الله عز وجل . وبما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ وكان عليه عمل الصحابة رضي الله عنهم ، واشتهر ذلك بنقل الثقات العدول المتفق على عدالتهم .

وأما قوله : على ان من يدعي انها خاصة بقبل الوفاة فعليه الدليل وانى له ذلك .

فالجواب ان يقال : أما كون المجيء الى النبي ﷺ خاصاً بمجال حياته قبل وفاته فنعى ، والدليل على ذلك من وجوه .

الوجه الاول : ان الآية نزلت في قوم معينين من أهل النفاق بدليل قوله تعالى : (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) فان قيل : فالآية وان وردت في اقوام معينين في حال الحياة فانها تعم بعموم العلة . قيل : نعم هذا حق فانها تعم ماوردت فيه وما كان

مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه ، وجاء كذلك في حال حياته ، وأما دلالتها على المجيء إليه في قبره فقد عرف بطلانه . يوضحه الوجه الثاني : انه لو شرع لكل مذنب ان يأتي الى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم اعياد المذنبين وهذه مصادمة صريحة لقوله ﷺ « لا تجعلوا قبوري عيداً » .

الوجه الثالث : ان اعلم الامة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الامة ، لم يفهم أحد منهم الا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم ولم يكن أحد منهم يأتي الى قبره ويقول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت . فلو كان هذا منسجماً الى ذا الآن وإلى ما شاء الله ، لما ترك الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم باحسان هذه القربة التي ذم الله سبحانه من تخلف عنها وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق ووفق لها من بعدهم من لا يؤبه له من الناس ولا يعد في أهل العلم ، وبالله العجب أكان ظلم الامة لانفسها ونبيها حي بين اظهرها موجوداً ، وقد دعيت فيه الى المجيء ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء فلما توفي ﷺ ارتفع ظلها لانفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم الى المجيء إليه ليستغفر له ولو كان حقاً لسبقونا اليه علماً وعملاً وارشاداً ونصيحة ، ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للامة .

الوجه الرابع : انه لو كان المجيء الى قبره بعد وفاته مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه ورغبهم فيه لانه من كمال شفقتة ورحمته ورافته بالمؤمنين ، فلا خير الاّ دلّ عليه أمته وأمرهم به ، ولا شر الاّ حذّرها عنه ونها عنه ، لانه أكمل الخلق نصحاً للامة ، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح للامة ، ومن كمال نصيحة وشفقة بأمته انه نهى عن اتخاذ قبره عيداً . فقال ﷺ « لاتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبور » الحديث فمن أتى الى قبره بعد وفاته ليستغفر له فقد ارتكب ما نهى عنه وفعل ما يسخطه . قال تعالى : (وما أناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي رأى قوماً عند القبر فنهاهم

وقال ان النبي ﷺ قال : « لا تتخذوا قبوري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني » . وروى شعيب بن منصور في سننه عن عبد العزيز بن محمد قال اخبرني سهيل بن أبي سهيل قال راى الحسن بن علي ابن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة فقال هلم إلى العشاء فقلت لا أريد فقال مالي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي ﷺ فقال إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال ان رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبوري عيداً ولا يتخذوا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد صلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حينما كنتم » ما انتم ومن بالاندلس الاسوي وروى ابو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر ابن ابي شينة عن يزيد بن الحباب عن جعفر بن ابراهيم من ولد ذي الجناحين عن علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين انه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فيها فقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً فان صلاتكم تبلغني اينما كنتم » .

الوجه الخامس : انه قد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد » وقد كان من المعلوم ان الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يفعلون هذا ولا هدي اكل من هدي الصحابة ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم فانهم كانوا كما قال عبد الله بن سعود رضي الله عنه من كان منكم مستنّاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد ﷺ كانوا ابر هذه الامة قلوباً وأعمقها علماً واقلمها تكلفاً ، قوماً اختارهم الله اصحابة نبيه ولاظهار دينه فاعرفوا لهم فضلهم واهتدوا بهديهم ، فانهم كانوا على الصراط المستقيم .

وقد قال مالك في المبسوط ، لا بأس لمن قدم من سفر ان يقف على قبر النبي ﷺ فيحلى ويدعو له ولا يبي بكر وعمر فقليل له ، فان ناساً من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او مرتين او أكثر عند القبر يسلمون ويدعون ساعة ، فقال لم يباغني هذا عن احد من اهل الفقه

في بلدنا وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من مفر أو أراد الله أعلم .

فصل

قال المصنف : وهنا آيات أخر تشير الى الالتجاء به ﷺ منها قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقوله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

فالجواب أن يقال : ليس في هذه الآيات ما يشير الى الالتجاء به ﷺ ، لا لفظاً ولا معنى ، والالتجاء من خصائص الالهية ، فصرفه لغيره شرك يخرج من الملة فمن التجأ الى غير الله كان مشركاً ، فقوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) .

قال في جامع البيان (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) في امور الدارين قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله لأنك أحب الى من كل شيء إلا من نفسي ، فقال عليه السلام « لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال والله لأنك يا رسول الله أحب الى من كل شيء حتى من نفسي فقال الآن يا عمر ، وعن بعض المفسرين معناه النبي أولى من بعضهم ببعض في وجوب طاعته عليهم انتهى .

وقال في الاكلیل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أخرجه البخاري عن أبي هريره مرفوعاً « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة » أقرأوا ان شئتم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأما مؤمن ترك مالا فليروثه عصبه من كانوا فان ترك ديناً أو ضياءاً فليأني فأنا مولاه » انتهى ، وفي صحيح البخاري أيضاً « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » .

إذا علمت هذا فغاية ما في هذه الآيات اخباره تعالى بأن رسوله ﷺ أولى

بالمؤمنين من انفسهم في امور دنياهم وأخراهم ، وان الله تعالى ارسله رحمة
للعالمين ليخرجهم من الظلمات ، اي ظلمات الكفر والمعاصي الى النور نور
الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيمًا) كقوله (لقد جاءكم رسوله من انفسكم
عزيم عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فرأفته ورحمته بالمؤمنين
وغلظته وسدته على الكافرين ، فن آمن بالله ورسوله وأخلص العبادة بجميع
أنواعها لله ولم يشرك فيها أحدا ، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، فضلا عن
عن غيرهما ، فالرسول اولى به من نفسه ورأفته ورحمته ﷺ خاصة بالمؤمنين به
المؤمنين لامره المنتهين عما نهى عنه ، ومن أشرك بالله في عبادته أحدا من
مخلوقاته كائناً من كان والتجأ إليه في كشف المهبات واغاثة الهممات وصرف له
خالص حق الله فرسول الله منه بريء فلا تنال رأفته ورحمته وشقيقته من أشرك
بالله ولا يكون من أهل ولاية الله في الدنيا والآخرة .

قال شمس الدين الحافظ بن القيم رحمه الله تعالى :

يا من له عقل ونور قد غدا	يشئ به في الناس كل زمان
لكننا فلنا مقالة صارخ	في كل وقت بينكم باذان
الرب رب والرسول فعبد	حقاً وليس لنا إله ثان
فلذاك لم نعبد مثل عبادة الرحمن	فعل المشرك النصراني
كلا ولم نفل الفلو كما نهى	عنه الرسول مخافة الكفران
له حق لا يكون لغيره	ولعبد حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحدا	من غير تمييز ولا فرقات
فالهج للرحمن دون رسوله	وكذا الصلاة وذبح ذى القربان
وكذا السجود ونذرنا ويمنا	وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والاناة والتقي	وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستهانتنا به	إدك نعبد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره	دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والت	هليل حق إلهنا الديان

لكننا التعزير والتوقيف حتى للرسول بمقتضى القرآن
والحب والايان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
عندي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجلوها بأولى العدوان
حتى الاله عبادة بالامر لا بهوي النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً سبب النجاة فعبدا السبب
ورسوله فهو المطاع وقوله المقبول إذ هو صاحب البرهان
والامر منه الحتم لا تخيير فيه عند ذي عقل وذو ايمان
الى أن قال :

هنا الذي أدي اليه علمنا وبه ندين الله كل اوان
فهو المطاع وأمره العالى على امر الورى واوامر السلطان
وهو المقدم في محبتنا على الأهلين والازواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على النفس التي قد ضمنها الجنان
الى أن قال :

كفرتوا من جرد التوحيد جهلاً منكمو بمقتضى الايمان
لكن تجردتم أنصر الشرك والبسوع المضلة في رضى الشيطان
والله لم تقصد سوي التجريد للتوحيد ذاك وصية الرحمن
ورضى رسول الله منا لاغلو الشرك اصل عبادة الاوثان
والله لو يرضى الرسول دعاءنا إياه بإدنا الى الاذهان
والله لو يرضى الرسول سجودنا كئنا نخر له على الاذقان
والله ما يرضيه منا غير اخلاص وتحكيم لذي القرآن
ولقد نهى ذا الحقائق عن اطرائه فعل النصارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا ان نصير قبره هيداً هذا الشرك بالرحمن

فصل

قال الملحد : وقد فهم أبو البشر آدم ﷺ من قرنه اسمه تعالى باسم نبيه محمد

ﷺ أنه الوسيلة إليه فتوسل به الى ربه بأن يغفر له كما يأتي بالباب الثاني إن شاء الله ، فأقول هذا كذب معص ، والحديث الآتي ذكره بعد موضوع وسيأتي الكلام عليه في محله إن شاء الله تعالى .

وأما قوله : فإذا علمت أن قرن اسم النبي باسمه تعالى يشعر بالتوسل به ففسد الآيات المقرون بها اسم النبي باسمه تعالى . فالجواب أن يقال هذه الآيات التي قرن الله اسم نبيه باسمه تعالى لا تشعر بالتوسل به ولا تجيز صرف خالص حق الله له ، وإنما غاية ما فيها تشریفه ﷺ والتتويه بذكره ، فهو ﷺ رحمة للعالمين وحسرة على الكافرين وحجة على العباد اجمعين ، قد افترض الله على العباد طاعته ومحبة وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسد الى جنته جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه ، فشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره واقسم بحياته في كتابه المبين وقرن اسمه باسمه ، فلا يذكر إلا معه كما في التشهد والخطب والتأذين ثم سرد هذا الملهد الآيات التي قرن الله اسمه باسم نبيه فيها كطاعته وطاعة رسوله وترك معصية الله ورسوله وعدم مشاقة الله ورسوله وعدم محاربتة ومحاداة رسوله . وأن الانتقال الخمس لله ورسوله والرد الى الله والى رسوله فيما تنازعت الأمة فيه وأن الانبياء لله ورسوله الى غير ذلك من الآيات التي شرف الله بها رسوله ورفع له بهسنا ذكره وأوجب بها على الخلق طاعته وغايتها ومقتضاها ، تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، والانتفاء عما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع لا إله إلا هو ، أو البدع ، فمن فهم غير هذا منها بأن يتوسل به ويدعي ويستغاث به ويلجأ إليه فقد ضل فهمه وحل كلام الله ما لا يحتمله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

قال الملحد : وأما الآيات التي تمسك بها الوهابية من قوله تعالى (ادعوني استجب لكم) وقوله تعالى (وأن يميك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) وأن

يردك بخير فلا راد لفضله . وقوله (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ونحوها من الآيات الكريمة ، فلا تدل على مدعائهم من امتناع التوسل بالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . فالجواب أن نقول :

هذه الآيات ونحوها من الآيات التي يستدل بها الروائي على امتناع التوسل بالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من الملائكة والاولياء والصالحين هي من أوضح الدلائل والبيانات على امتناع دعائهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم والالتجاء إليهم الى غير ذلك من أنواع العبادة لأنها دالة على وجوب عبادة الله وحده لا شريك . والبرادة من عبادة ما سواه كائنا من كان وهي تتضمن كمال الذل والحب ، وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم . وهذا دين الاسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره ، لا من الاولين ولا من الآخرين ، فان جميع الانبياء على دين الاسلام ، وهو يتضمن الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عبادته . قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) . وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى عن الحليل (إذ قال لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهون ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وقال تعالى عنه (أفأنتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الاقدمون ، فانهم عدو لي إلا رب العالمين) . وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده) . وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وذكر عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، وقال عن أهل الكهف (أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً ، لقد قلنا إذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا

يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) في موضعين من كتابه . وقال تعالى (أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) .

قال الشيخ رحمه الله ، والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الانبياء والملائكة والصالحين ، فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ فانهم كانوا يوعونها ويلتجئون إليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع كتابه كقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية . وقال تعالى (والذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ، بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفكرون)

قال رحمه الله ! ومع ما اوم ان المشركين لم يزعموا أن الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ، ولو في خلق ذرة من الذرات . قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ، قل افرايتم ما تدعون من دون الله إذ أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) . فمنهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ، ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما أقروا به من هذه الجمل وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ولا يمك الرحمة ولا يخفى ما في التنكير مر العموم والشمول المتناول لأول شيء ، وأدناه من ضر أو رحمة ، وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون) الى قوله (فاني تسخرون) . وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

فذكر فيه السلف كابن عباس وغيره إيمانهم هنا بما أقروا به من ربوبيته وملكه وفسر شركهم بعبادة غيره ، قال رحمه الله وقد بين القرآن في غير موضع أن من المشركين من أشرك بالملائكة ومنهم من أشرك بالانبياء والصالحين ومنهم من أشرك بالكواكب ومنهم من أشرك بالاصنام . وقد رد عليهم أجمعين

وكفر كل أصنافهم ، كما قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم) الآية ونحو ذلك في القرآن كثير . وبه يعلم المؤمن أن دعاء الانبياء والصالحين كدعاء الكواكب والاصنام من حيث الشرك والكفر واتفاقهما في العلة التي هي دعاء غير الله ، قال رحمه الله : وهذه العبادات التي صرفها المشركون لألهتهم هي أفعال العبادة الصادقة منه كالجب والخضوع والانابة والتوكل والدعاء والاستغاثة والاستعانة والخوف والرجاء والنسك والتقوي والطواف ببيته ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومدته وإحسانه وكرمه ، فهذه الانواع أشرف أنواع العبادة وأجلها بل هي لب سائر الاعمال الاسلامية وخلاصتها وكل عمل يخلو منها فهو يحتاج مردود على صاحبه وانما أشرك وكفر من كفر من المشركين بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وقال تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون وقال (اتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون إني إذاً لفي ضلال مبين) .

وحكي عن أهل النار أنهم يقولون لألهتهم التي عبدوها من دون الله (تالله إنا كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم أنهم مأسوؤهم بالله في الخلق والتدبير والتأثير وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات قال رحمه الله فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الاولياء والصالحين فحكم بأنهم مشركون وزري كفرهم إذا قامت عليهم الحجة الرسالية وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لا تكفر بها ولا تحكم على احد من أهل القبلة الذين باينوا اعباد الاوثان والاصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبه وعظيم جرم اجتراه انتهى .

فما استدلل به الوهابي على امتناع التوسل بالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على عرف أهل هذا الزمان ولعنهم واصطلاحهم في معنى التوسل هو

مقتضى هذه الآيات ، فأما التوسل الذي هو بلغة الصحابة والتابعين فهو التوسل بدعائهم وذلك في حياتهم وأما بعد وفاتهم فهو من البدع المسكروحة المذمومة المحرمة والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

وأما قوله (وأما الذين أجمعوا من المسلمين على التوسل الى الله بالانبياء والمرسلين لا يقصدون بذلك تأثير شيء بإيجاد نفع أو دفع ضرر ولا يعتقدون ذلك البتة جميع المسلمين يعتقدون أن الله تعالى هو المنفرد بالإيجاد والاعدام والنفع والضرر ، فلا يعبدون من توسل بالنبي ﷺ أو بالملائكة أنهم اتخذوهم اولياء من دون الله فكيف يتجرون على الاستشهاد علي مذهبهم بقوله (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) الآية . فالجواب أن نقول ، مما أشبهه اليلة بالبارحة ، لقد والله أمكنت الرمي من سواء النخرة . فان قولك هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، فانهم كانوا يدهون الانبياء والملائكة والاولياء والصالحين ، وليجيئون اليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوا الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه . قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية . وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فاولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفكرون) .

ومن المعلوم أن الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقتلهم واستحل دماءهم واموالهم كانوا مقرين أن الله هو الخالق الرزاق الحي المميت النافع الضار الذي يدبر جميع الامور ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الاشياء وأنه لا مشارك له في إيجاد شيء وإعدامه وأن النفع والضرر بيده وأنه هو رب كل شيء ومليكه ، ولا يعتقدون أن آلهتهم التي يدعونها من دون الله من

الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ، واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ، ولو في خلق ذرة من الذرات . قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه . ولكن لم يدخلهم ذلك في الاسلام . وقالهم رسول الله ﷺ الى أن يكون الدين كله لله . فاذا عرفت أن هذا لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصد الملائكة والانبياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بهم هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

عرفت أن التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبي عن الاقرار به المشركون هو توحيد الله تعالى ، وأفعال العبد الصادرة منه كاللجوء والحب والخوف والرجاء والخضوع والخشوع والابانة والتوكل والاستقامة والاستغاثة والخضوع والتذرع والالتجاء وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه ، وأن من صرف منها شيئاً لغيره ، كان مشركاً سواء اعتقد التأثير من يدعو به ويرجوه ، أو لم يعتقد . فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة المتقدم ذكرها ، فقد عبد ذلك الغير واتخذة إلهاً وأمركه مع الله في خالص حقه ، وإن فر من تسميته فعليه ذلك تأدياً وعبادة وشركاً . ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الاشياء لا تتغير بتغير اسمائها ، فلا تقول هذه المفاسد بتغير اسمائها كتسمية عبادة غير الله ترسلاً وتشهما . وتعظيماً للصالحين وتوقيراً . فالاعتبار بحقائق الامور ، لا بالاسماء والاصطلاحات والحكم يدور مع الحقيقة لا مع الاسماء . إذا عرفت هذا فمن أنواع هذا الشرك الذي يسميه هؤلاء ترسلاً وتشهماً بجاء النبي ﷺ أو بحقه ، وغير ذلك من الالفاظ . أو بجاء غير النبي كالملائكة والانبياء والاولياء والصالحين . أن يعتقد الانسان في غير الله أنه يقدر بذاته على جلب منفعة لمن دعاه أو استغاث به ، أو دفع مضرة . قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الآية . وقال تعالى (وإن

يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وأن يردك بخير فلا راد لفضله (فإذا ثبت في القلب أن الله عز وجل بهذه الصفات فوجب أن لا يستغاث إلا به ، ولا يدعى إلا هو ولا يخاف ولا يرجى إلا هو ، ولذلك قال تعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا) فقال تعالى توبيخاً لأهل الكتاب الذين يستغيثون بعيسى وأمه وعزير عليهم السلام لما أنزل الله عليهم القحط والجذب (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) الآية . وقال تعالى لنبيه (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد) الآية . وقال (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله) الآية .

ومن أنواع هذا الشرك التوكل والصلاة والنذر والذبح لغير الله . قال تعالى (فاعبدوه وتوكل عليه وتوكل على الحي الذي لا يموت) وقال (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم) الى قوله (وما ذبح) وقال (فصل لربك وانحر) وقال (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) الآية .

ومن أنواع هذا الشرك العكوف على قبور المشهورين بالنبوة والصلاح والولاية ، لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك ، فتارة يسألونه وتارة يسألون الله عند قبره .

ولما كان هذا مبدء الشرك سد النبي ﷺ هذا الباب . ففي الصحيحين انه قال في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا » قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره . لكن كره أن يتخذ مسجداً ، وقال (لاتتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) وقال ﷺ « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) . انتهى . وأما قوله (ولا يعدون من توسل بالنبي ﷺ أو بالملائكة أنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله ، فكيف يتجرءون على الاستشهاد على مذهبهم بقوله (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) الآية . فالجواب ان يقال ان دعوى من دعا النبي ﷺ واستغاث به وجأ اليه

ودعا الملائكة أنهم لا يتخذوهم أرباباً من دون الله ولا يعبدون ذلك لا تجدي هذه الدعوى شيئاً ، فإن الكفار كما تقدم بيان ذلك يزعمون ان الانبياء والملائكة استقلوا بشيء من افعال الربوبية أو شاركوا الله في ايجاد شيء أو اعدامه أو ساروهم بالله في التدبير والنفع والضرر والتأثير ، ولكن لما اشركوهم مع الله في عبادته بالحب والخوف والتعظيم والرجاء والتوكل والاستغاثة والالتجاء والذبح والنذر وغير ذلك ، كان ذلك كفراً وشركاً بالله ، فان من اشرك مع الله في عبادة غيره فقد اتخذوا رباً وإلهاً ولذلك يحتج عليهم سبحانه بما اقرؤا به من توحيد الربوبية على ما جحدته من توحيد الآلهية . ولما قال ﷺ اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . قال عدي بن حاتم رضي الله عنه انهم لا يعبدوهم . قل أليسوا يحاون ما حرم الله فيعلونه ويمجرمون ما احل الله فيحرمونه . قال بلي . قال فتلك عبادتهم . فجعل ﷺ طاعتهم في التحليل والتحریم التي هي افعالهم بتعظيم احبارهم ورهبانهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله عبادة لهم مع الله . ولهذا اجتراً الوهابية على تكفير من دعا غير الله واستغاث به ولجأ اليه وصرف له شيئاً من خالص حق الله ، لأنه قد اتخذوا رباً ومعبوداً ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (ولا يأمرکم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً يأمرکم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون) كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

فصل

واما قول الملحد : فان قلت شبهة من منع التوسل رؤيتهم بعض العوام يطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء لا تطلب إلا من الله تعالى ويقولون للولى افعلى كذا وكذا فهذه الالفاظ الموهمة محمولة على لجر العتلى والقرينة عليه صدوره من موحد ، وبذلك على ذلك أنك اذا استفسرت العامي عند نطقه بهذه الالفاظ الموهمة يبين لك معتقده بأن الله هو الفاعل للأشياء ولا مشارك له في ايجاد شيء ، فالجواب ان نقول : الكلام على هذا من وجوه :

الاول : ان طلب بعض العوام او بعض الخواص من اهل القبور المعروفين بالصلاح من الاحياء والاموات واعتقاد انهم يقدرون على ما يقدر عليه الا الله عز وجل ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت آلسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم وصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي الله عز وجل في الدعاء هو اعتقاد كفار قريش الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وقاتلهم عليه ليكون الدين كله لله وان يخلصوا العبادة له ويخلصوا الانداد المدعوة من دونه فمن طلب من مخلوق ما لا يقدر عليه الا الخالق فقد أشرك ذاك المخلوق في عبادة الله سواء كان المدعو نبيا او ملكا او رجلا صالحاً او غير ذلك .

الثاني : ان مجرد عدم التأثير والخلق والايحاد والاعدام والنفع والضر الا الله لا يبريء من الشرك ، فان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم ايضاً كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار بل لا بد فيه من إخلاص توحيدِهِ وإفراده وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله والطلب منه والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له وعنه لا بغيره ولا من غيره وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها يكون لله .

الثالث ان مجرد كون الاحياء والاموات شركاء في انهم لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير في شيء لا يقتضي ان يكون الاحياء والاموات متساوين في جميع الاحكام حتي يلزم من جواز التوسل بالاحياء والتوسل بالاموات مع أن العرف المعروف من لغة العرب في معنى التوسل بالاحياء التوسل بدعائهم وهو ثابت بالاحاديث الصحيحة ، واما التوسل بالاموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن واما التوسل في عرف هؤلاء فهو دعاؤهم والاستغاثة بهم والاتجاه اليهم وهذا شرك وكفر وخروج من الدين باجماع المسلمين المحكمين الكتاب والسنة ، واما قول هذا المجدد : فهذه الالفاظ الموهمة محمولة على الجز العقلي ، فالجواب من وجوه .

الاول : أن تلك الالفاظ دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى فما معنى الايهام .

والثاني : لو سلم هذا الحمل لاستحل الارتداد وانسد باب الردة الذي يعقده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها ، فان المسلم الموحد متى صدر منه قول او فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز العقلي ، والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز ، والثالث أنه يلزم على هذا أن لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرزاق الضار النافع وان الخير والشر بيده لكن كانوا يعبدون الاصنام لتقريبهم الى الله زلني ، فالاعتقاد المذكور قرينة على أن المراد بالعبادة ليس معناه الحقيقي بل المراد هو المعنى المجازي اي التكريم مثلا ، فهاهو جوابكم فهو جوابنا .

والرابع : انكم هؤلاء أوتم عنهم في تلك الالفاظ الدالة على تأثير غير الله مما يفعلون في اعمالهم الشركية من دعاء غير الله والاستغاثة والنذر والذبح ، فان الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله بل اذا صدر من احد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركا سواء اعتقد ذلك الغير مؤثرا أم لا . انتهى . فاذا عرفت أن هذا هو اعتقاد كفار قريش وغيرهم من العرب فانهم كانوا معترفين بأن الله هو الفاعل لهذه الأشياء وانه لا مشارك له فما إيجاد شيء وحده لا أدخلهم ذلك في الاسلام بل قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم الى ان يخلصوا العبادة لله ولا يشركوا في عبادته احدا سواه كأن دعوي هؤلاء ان هذا من الالفاظ الموهمة من الاوهام الموبقة .

قال الشيخ صنع الله الحلي الحنفي رحمه الله في كتابه في الرد علي من ادعي ان للاولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة : هذا وقد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبلديات ويهيمهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا منهم

إبدال ونقياً واثقاد ونجياً وسبعون وسبعة واربعون واربعة والقطب هو
الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأبنتوا
لهم فيهما الاجور، قال: وهذا الكلام فيه تقريظ وافراط بل فيه الهلاك الأبدي
والعذاب سرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز
المصدق ومخالفته لعقائد الائمة وما أجمعت عليه الامة وفي التنزيل (ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) الآية الى أن قال :
واما القول بالتصرف في الحياة بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف
في الحياة ، قال جل ذكره (انك ميت وانهم ميتون) (الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى
اجل مسمى) (كل نفس ذائقة الموت) (كل نفس بما كسبت رهينة) وفي
الحديث « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » الحديث فجميع ذلك
وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وان ارواحهم بمسكة
وان اعمالهم منقطعة عن زيادة او نقصان فدل ذلك على أن ليس للميت تصرف
في ذاته فضلاً عن غيره فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فانه
سبحانه يخبر ان الارواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلعة
متصرفه قل انتم أعلم ام الله ، قال والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية
من الامور الحسية في قتال او إدراك عدو او سبع ونحوه كقولهم يا يزيد
يا للمسلمين بحسب الأفعال الظاهرة واما الاستغاثة بالقوة والتأثير او في الامور
المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق
ونحوه فمن خصائص الله لا يطالب فيها غيره انتهى ، والمقصود ان اهل العلم
مازالوا ينكرون هذه الامور الشريكية التي عمت بها البلوى واعتقدها اهل
الاهواء فلو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الامور الشريكية لطال الجواب
والبصير النبيل يدرك الحق من اول دليل ومن قل قولاً بلابرهان فقولنا ظاهر
البطلان مخالف ما عليه اهل الحق والايان المتمسكين بحكم القرآن المستجيبين
لداعي الحق والايان والله المستعان وعليه التكلان .

فصل

وانما دمي الغلاة ما ألقاه الشيطان اليهم بكيده ان قال : ان هؤلاء قوم صالحون وعند الله مقربون ولهم ما يشاؤون ولهم الجاه الأعلى والمقام الرفيع الاسنى فمن قصدتم لا يخيب سعيه ولا يبطش رأيه وان يبركتهم تدفع البليات وتقضي الحاجات وبشفاعتهم يتقرب زوارهم الى الله الغفار فتحط عنهم بشفاعتهم عند الله الاوزار الى غير ذلك من الدلائل التي يلاؤها قلوب اهل الاماني بمثل هذه المعاني فيتلاعب بعقولهم الضعيفة وآرائهم الضعيفة ويحسن لهم البدع والمنكرات بما يلقى اليهم من الحكايات والحرفات ويحثهم على التقرب الى اهل القبور بما يقدرون عليه من النحر والنذور والطواف والتزين بالزين المحرمة من القصب والذهب والفضة وتعليق القناديل وايقاد شموع العمل وتصفيح الجدران والاعتاب والسنون والابواب بالنفحة والذهب وغيرهما بما يجاوز الحساب ويفهم انما كلما ازدادوا في مثل ذلك احسنوا كل الاحسان فدخلوا الجنان ثم ما كفاهم ذلك حتى استحقهم فدعاهم الى ان يطلبوا منهم النصر على الاعداء والشفاء من عضال الداء فأجابوه الى ما دعاهم مسرعين . وزاد على ذلك بأن طلبوا منهم الحياة لأولادهم ، فتراهم يقولون قد علقنا أولادنا عليهم ، ومنهم من يطلب منهم النسل اذا كان عقيا والشفاء اذا كان سقيا ، وكثيرا ممن يطلب منهم منصبا فيه أخذ اموال العباد والسعى في الارض بكل فساد ، فيجىء اليهم ويلازمهم معتقدا أن من لازمهم قضيت حاجته ونجحت سعايته واقتربت سعاده .

واذا فتحت ابواب بيوت قبورهم المذهبة ، ورفعت ستور الابواب المطلاة المطردة ، وفاحت تلك الروائح المسكية من الجدران الخلقة ، وجد هذا الزائر في فؤاده من الحشية والرعب ما لا يجد ادني معشار جزء عشره بين يدي خالق السموات والارضين واله جميع العالمين ، فدخل الى القبر خاشعاً ذليلاً متواضعاً لا يخاطر في قلبه مثقال ذرة من غير اجلاله منتظرا فيض كرمه ونواله فاقسم بالله أنه لم يتصوره بشر قد وضع با كفانه في لحده ، ولو سلمنا انه لو

خطرت له وهو عنده في تلك الحضرة لتعوذ بالله منها ووقف عند حده
وياخيبه من انكر عليهم حالهم وياشاعة من رد عليهم امرهم وياخساره من
علمهم وارشدتهم فان ذلك عندهم وقد تنقص الاولياء وهضمهم مرتبتهم عن
السمو والارتقاء ، ولو ذهبنا نذكر افعالهم واقوالهم لطال الجواب فالى الله
المستكي وبه المستغاث وهو المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فصل

قال الملحد : وانما الطلب من هؤلاء الصالحين على سبيل التوسط بحصول
المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه ، فالجواب : ان نقول هكذا كان
مشركو العرب الجاهلية حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين والانبياء
والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين ويلتجئون اليهم ويسألونهم على
وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ويعلمون ان الله تعالى هو النافع الضار وان الله
سبحانه هو المؤثر وأن غيره لا تأثير له في جلب نفع او دفع ضرر ولم يدخلهم ذلك
في الاسلام لما جعلوا بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله تعالى فلم ينفعهم
اقرارهم بتوحيد الربوبية .

وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله لما سئل عن رجلين تناظرا فقال احدهما
لا بد لنا من وساطة بيننا وبين الله تعالى فاننا لا نقدر على ان نصل اليه بغير ذلك
فما معني الوساطة ؟ وهل التوسط عام في كل شيء يوجد الله تعالى ام في ذلك
بيان وتفصيل ، فأجاب رحمه الله ورضي عنه بقوله : الحمد لله ان اراد بذلك انه
لا بد من وساطة تباعغ امر الله تعالى فهذا حق فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله
ويرضاه وما امر الله به ونهى عنه وما اعد لاوليائه من كرامته وما اوعده به
اعداءهم من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله من امائه الحسني وصفاته العلية
التي تعجز العقول عن الاحاطة بها الى امثال ذلك الا بالرسل الذين ارسلهم الله
الى عباده والمؤمنون بالرسل المتبعون لهم المهتدون الذين يقربهم لديه ولقي
ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة ، واما المخالفون للرسل فانهم

ملعونون وهم ضالون وعن ربهم محجوبون قال تعالى (يا بني آدم اما يا تينكم رسل
منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصابح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
يذكر آيات في المعنى ، ثم قال رحمه الله : وان اراد بالوساطة انه لابد من واسطة
يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون
واسطة في رزق العباد ونصرهم وهدايتهم يستألوهم ذلك ويرجونهم فيه فهذا من
اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله اولياء
وسنعا يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لمن يأذن الله
تعالى له فيها قال الله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم
استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال
(وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليسوا لهم من دونه من ولي
ولا شفيع) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم
من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وساق آيات في المعنى الى أن
قال ، وقال تعالى (وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم
تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
ارباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون) فبين سبحانه وتعالى ان اتخاذ
الملائكة والنبيين ارباباً كفر فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعواهم
ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران
الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسد الفاقات ، فهو كافر باجماع
المسلمين وقد قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون
إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان

يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
 فيحشرهم اليه جميعا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا
 إذا تكاد السموات ينفطرون منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا
 للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والارض
 الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدداً وكنهم آتية يوم القيامة فردا)
 وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
 شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه
 وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (وكن من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
 شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضي) وقال تعالى (من ذا الذي
 يشفع عنده إلا بأذنه) وقال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
 وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وقال تعالى (وان يمسك الله بضر فلا
 كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال تعالى (قل أرايتم
 ما تدعون من دون الله إن أرا في الله بضر هل هن كاشفات ضره او أرادني
 برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) ومثل هذا
 في القرآن كثير ومن سوى الأنبياء ومشايخ العلم والدين وأثبتهم وسائط بين
 الرسول وأمتهم يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد اصاب في ذلك
 وهؤلاء اذا اجتمعوا فاجتمعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، الي أن قال :
 وان اثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالجاباب الذين بين الملك وبين رعيته
 بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه وأنت الله انما يهدي عباده
 ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما ان
 الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم
 أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك اولاً لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من
 طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطلب ، فمن اثبتهم وسائط
 على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب وإلا قتل .
 قلت : وهذا عين كلام الشامي فانه زعم ان الطلب من هؤلاء الصالحين على

سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه ، والشيخ رحمه الله هنا وفي جميع كلامه جزم بان فاعل ذلك كافر مشرك يستتاب كما يستتاب المرتد فان تاب والا قتل ، ثم قال الشيخ وهؤلاء المشبهون بشبهون الخلق بالخلق وجعلوا لله اندادا وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تنسع له هذه الفتوي ، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون علي أحد روجه ثلاثة ، أما لاخبارهم من احوال الناس ما لا يعرفونه ، ومن قال ان الله لا يعرف احوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملائكة او الانبياء او غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات علي تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين .

الوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزاً عن تديبر رعيته ودفع أعاديهم الاباعوان يعينونه ، فلا بد له من أعوان وانصار لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الدن . قال تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير) ، وقال تعالى (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً) ، وكل ما في الوجود من الاسباب ، فهو سبحانه خالقه وربّه ومليكه . فهو الغني عن كل ما سواه ، فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهريتهم ، وهم في الحقيقة شركاؤهم والله سبحانه ليس له شريك في الملك ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ولهذا لا يشفع عنده احد إلا بإذنه ، لا ملك ولا نبي ولا غيرهما فان من يشفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك في حصول المطالب ، لأنه أثر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل ما يطلبه منه والله سبحانه وتعالى لا شريك له بوجه من الوجوه . ويسمى الشفيع شافعاً لأنه يشفع غيره أي يصير له شفيعاً . قال تعالى (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن

له كفل منها) وكل من اعان غيره على أمر فقد شفعه فيه . والله تعالى وتر
لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه .

الوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته ، والاحسان إليهم
بموجبهم إلا بحرك يحركه من خارج ، فإذا خاطب الملك من ينصحه وبعطائه ،
أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت اداة الملك وهمته في
قضاء حوائج رعيته . أما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ،
ولما لما يحصل له من الرغبة والرغبة من كلام المدل عليه والله تعالى هو رب
كل شيء ومليكه ، وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الاسباب
إنما تكون بمشيئته . فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو اذا جرى نفع
العباد بعضهم على ايدي بعضهم فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعوه له ويشفع
فيه ونحو ذلك ، فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا
الحسن والداعي والشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة ، ولا يجوز أن
يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده او يعلمه مالم يكن يعلمه او
من يرجوه الرب ويخافه ولهذا قال النبي ﷺ « لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي
ان شئت اللهم ارحمني ان شئت واسكن لي عزم المسألة فان الله لا مكره له »
والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه قال تعالى (ولا يشفعون إلا
لمن ارتضى) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) بخلاف الملوك
فان الشافع عندهم قد يكون له ملك او يكون شريكاهم في الملك وقد يكون
ظاهراً لهم معاوناً علي ملكه وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملك
والملك يقبل شفاعتهم تارة على انعامهم عليه حتي انه يقبل شفاعة ولده وزوجته
لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتي لو أعرض عنه ولده وزوجته
لتضرر بذلك ويقبل شفاعة مملوكه فانه ان لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه
وان يسعى في ضرره وشفاعة العباد لبعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس
فلا يقبل احد شفاعة احد الا لرغبة او رهبة والله تعالى لا يرجو أحداً ولا يخافه
ولا يحتاج الي احد بل هو الغني قال تعالى (ألا ان الله من في السموات ومن في

الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون الا الظن
وإن هم إلا يخرون) الى قوله (قالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه هو الغني له ما في
السموات وما في الارض) الآية وقوله (وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء) استفهام استنكار اي ليس متبع الذين يدعون من دون الله شركاء
حجة ولا برهانا ما يتبعون الا الظن وإن هم إلا يخرون ، بين تعالى أن من
دعا من دون الله شركاء فليس معه علم ليس معه إلا الظن والحرص والظن
المقرون بالحرص هو ظن باطل غير مطابق للحق فان الحرص هنا يعني الكذب
كقوله تعالى (قتل الخراصون) ومن ظن ان « ما » هنا نافية فقد فسر الآية بما
هو خطأ كما قد بسط في غير هذا الموضع ، والمشركون يتخذون شفعاء من
جنس ما يعبدونه من الشفاعة عند المخلوق قال تعالى (ويعبدون من دون الله
مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أنبئوني الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال عن
صاحب ليس (وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون أتخذ من دونه آلهة
إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا يتخذون لي إذآ لفي ضلال
مبين لمي آمنتم بربكم فاسمعون) الآية ، وقال تعالى (فلو لا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله فرياً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفكرون) واخبر
عن المشركين انهم قالوا (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى
(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً أيامركم بالكفر بعد اذ أنتم
مسلمون) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الرسيلة ايهم أقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فأخبر أن من
يدعي من دونه لا يملك كشف الضر عنكم ولا تحويلاً وانهم يرجون رحمته
ويخافون عذابه ويتقربون اليه فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسيط الملائكة
والانبياء الى أن قال : والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله تعالى وبين
خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين

المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسائط يتقربون بها الى الله تعالى وهو من الشرك الذي انكره الله تعالى على النصاري حيث قال (اتخذوا اُحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد قال تعالى (واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) ثم ذكر آيات في المعنى وهذا الذي قاله الشيخ لاختلاف فيه بين المسلمين وانما اشتبه الامر على هؤلاء الضلال لما قدم العهد ونسى العلم واعتادوا سؤال غير الله فيما يخص به تعالى ونشئوا على ذلك .

فصل

واما قوله : ولكن مع ذلك علينا أن نأمر العامة بسلوك الادب بالتوسل بأن يكون بالالفاظ التي ليس فيها إيهام ، وذلك كان يقول المتوسل اللهم اني : أسألك واتوسل اليك بالذي ﷺ وبأصحابه وبأحبابه أن تعطيني كذا وكذا وتدفع عني كذا وكذا الى آخر مطلوبه ، ولا يصح لنا أن نمنعه من التوسل مطلقاً لما قدمنا من الآيات ولما يأتي من الاحاديث والاجماع فتعود بالله من طمس عين البصيرة (ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) فالجواب ان نقول : ان قول القائل اللهم اني أسألك واتوسل اليك بالذي ﷺ وبأصحابه وبأحبابه أن تعطيني كذا وكذا قول مبتدع محرم منهي عنه في أصح القوانين عند الحنابلة ، وقد نص على المنع منه جمهور اهل العلم بل ذكر شيخ الاسلام في رده على ابن البكري أنه لا يعلم قائلًا بجوازه لابن عبد السلام في حق النبي ﷺ ولم يجزم بذلك بل علق القول به على ثبوت حديث الاعمى وصحته وفيه من لا يحتج به عند اهل الحديث .

ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف انه قال . قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا ينبغي لأحد ان يدعو الله الا به ، وذكر الملا في شرح التنوير عن التتارخانية عن ابي حنيفة انه قال : لا ينبغي لأحد ان يدعو الله سبحانه

الآية أي بالله سبحانه ، وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وعلو ذلك كلهم بقولهم أنه لاحق للخلق على الخلق انتهى ، ولكن هؤلاء الغلاة مع كونهم مبتدعين هم مع ذلك يدعون الأنبياء والأولياء والصالحين ويلجأون إليهم ، وقد كان من المعلوم عند جميع أهل السنة والجماعة من جعل الأنبياء والأولياء والملائكة وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين والله الهادي إلى الصواب .

فصل

قال الملحد : الباب الثاني بذكر الأحاديث الدالة على التوسل بالنبي ﷺ أخرج البخاري في تاريخه ، والبيهقي في الدلائل والدعوات وصححه ، وأبو نعيم في المعرفة عن عثمان بن حنيف ، أن رجلاً ضرباً أتى النبي ﷺ فقال ، أَدْعُ الله لي أن يعافيني . قال : ان شئت اخترت ذلك وهو خير لك ، وان شئت دعوت الله تعالى . قال ، فأدعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء « اللهم اني أسألك واتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد اني أترجى بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضها اللهم شفعي في » ، ففعل الرجل فقام وقد أبصر ، والجواب أن يقال : هذا الحديث غير محفوظ وفيه مقال مشهور وفي سنده أبو جعفر عيسى بن أبي عيسى بن ماهان الرازي التميمي قال الحافظ بن حجر في التقریب : الأكثرون على ضعفه ، وقال أحمد والنسائي : ليس بالقوي وقال أبو حاتم : صدوق وقال ابن المديني : ثقة كان يخط ، وقال مرة يكتب حديثه إلا أنه يخطئ ، وقال القلانسي : سئء الحفظ وقال ابن حبان : ينفرد بالمشايير ، وقال أبو زرعة بهم كثيراً ، وقال الحافظ في التقریب أيضاً في ترجمة الرازي التميمي : مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن أبي عيسى بن عبد الله ماهان وأصله من مرو وكان يتجر إلى الري صدوق سئء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة مات في حدود الستين انتهى ،

وعلى تقدير صحته وثبوته فلا يدل على ما توهمه هذا الملاحد وبييان معنى الحديث يعلم أن ما توهمه هؤلاء الغلاة غير صحيح ، فقله اللهم اني أسألك اي اطلب منك واتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعاً منه لكون التعليم من قبله وفي ذلك قصر السؤال الذي هو اصل الدعاء على الله تعالى الملك المتعال ، ولكنه توسل بالني بدعائه . ولذا قال في آخره اللهم فشفعه في إذ شفاعته لا تكون الا بالدعاء لربه قطعاً ، ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى ، اذ التوسل بقوله نبيك كاف في إفادة هذا المعنى . فقله : يا محمد اني توجهت بك الى ذى . قال الاطبي : الباء في بك للاستعانة وقوله اني توجهت بك بعد قوله أتوجه اليك فيه معنى قوله (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) فيكون خطاباً بالحاضر معان في قوله مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال بنيه بدعائه الذى هو عين شفاعته ولذلك أتى بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك ان هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه . وقال شيخ الاسلام في « اقتضاء الصراط المستقيم » : والميت لا يطلب منه شيء ولا دعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الأعمى فانه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه فهذا يدل على أن النبي شفع فيه وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته وان قوله أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اي بدعائه وبشفاعته كما قال عمر : كنا نتوسل اليك بنبينا ، فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ثم قال : يا محمد يا رسول الله اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها اللهم نشفعه في فطلب من الله ان يشفع فيه نبيه . وقوله يا محمد يا نبي الله وهذا . وامثاله نداء يطلب به استحضار المنادي في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلى السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه إجمال واشتراك غلط يسببه من لم يفهم

مقصود الصحابة يراد التسبب به لكونه داعياً وشفاعاً مثلاً او لكون الداعي
حجاً له مطيعاً لأمره مقتدياً به فيكون التسبب إما بمحبة السائل له واتباعه له
وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون
التوسل لا منه ولا من السائل بل بذاته او بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا
الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به المعنى
الاول وهو التسبب لكونه سبباً في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام
الى آخر ما قال انتهى . فاذا عرفت هذا فليس في حديث الأعمى ما يدل على
التوسل به ودعائه والا لنتجاء اليه بعد وفاته وانما فيه انه توسل بدعائه كما كان
الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء وقد قال تعالى (وصل
عليهم ان صلاتك سكن لهم) وقال تعالى حاكياً عن المنافقين (واذا قيل لهم
قموا يستغفروا لكم رسول الله لو وارؤسهم وآياتهم يصدون وهم مستكبرون)
فقدم هذا الصنف بالصدق عن ذلك فهذا كان هديهم وفعلهم في حياته ﷺ واما
بعد موته صلى الله عليه وسلم فلم يفعله احد منهم ولا من اهل العلم والايمان
بعدهم ، واما قوله وليس لما نفع التوسل ان يخصه بقبل وفاته ﷺ لأن الصحابة
استعملوه بعد وفاته ﷺ فالجواب ان هذا كذب على الصحابة رضي الله عنهم
فان الصحيح الثابت عنهم التوسل به في حياته بدعائه واما بعد وفاته فلم يكن
يفعل ذلك احد منهم وقد ثبت في صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه استسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا اذا اجدنا نتوسل اليك بنبينا
فنتسقى ، وانا نتوسل اليك بهم نديننا فاسقنا فيسقون فقد بين عمر رضي الله
عنه ، انهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون وذلك التوسل انهم كانوا
يسألونه ان يدعو الله لهم ، فيدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه
فهذا كان توسلهم به في الاستسقاء ونحوه فلما مات توسلوا بالعباس كما كانوا
يتوسلون به ولم يتوسلوا به ويستسقونه بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره
وكذلك معاوية بن ابي سفيان استسقى يزيد بن الاسود الجريفي وقال اللهم
إنا نستشفع اليك بخيارنا يا يزيد ارفع يديك الى الله . فرفع يديه ودعا فسقوا

ولذلك قال العلماء : يستحب ان يستسقي باهل الصلاح والخير فاذا كان من اهل بيت رسول الله ﷺ كان احسن ولم يذكر احد من العلماء انه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي الصالح بعد موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك لا في الاستسقاء ولا في غيره من الادعية والدعاء مع العبادة والعبادة مبنها على النية والاتباع وانما يعبد الله بما شرع لا بالاهواء والبدع قال الله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) وقال النبي ﷺ : انه سيكون في هذه الامة اقوام يعتدون في الدعا والطهور انتهى .

وأما قوله : (فقد اخرج البيهقي وابو نعيم في المعرفة عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ، ان رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان في حاجة ، وكانت عثمان لا يلتفت اليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلما كان ابن حنيف وشكى اليه ذلك فقال انت الميضاة فوضاً ثم انت المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي لتقضي حاجتي واذكر حاجتك ثم رح حين اروح فانطلق الرجل وضع ذلك ثم اتا باب عثمان فجاء البواب فأخذه بيده وادخله على عثمان فاجلسه معه على الطنفسة فقال : انظر ما كان لك من حاجة ، ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت الي حتى كلمته ، قال ما كلمته ، ولكن رأيت النبي ﷺ وجاءه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره ، فقال له او تصبر قال يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي فقال : انت الميضاة فتوضاً وحلي ركعتين ثم قال اللهم اني اتوجه بك الى ربي ليجلي بصري اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي ، قال عثمان : فوالله ما تفرقنا حتى دخل الرجل كان لم يكن به ضرر) انتهى من شرح الحصاص - فالجواب : ان في سند هذا الحديث مقالاً وقدره الطبراني وفي سنده روح ابن صلاح وقد ضعفه ابن عدي بل قد قال بعضهم : ان امارات الوضع لائحة عليه فكيف يعارض جميع كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وعمل اصحابه

رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ؟ وهل سمعت احداً منهم جاء اليه بعد وفاته الى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لا سيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تنشبت بكل ما تقدر عليه فلو ضح عند احدهم ادنى شيء من ذلك لرأيت اصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمرا زمرا خصوصاً في النتن الكباب التي جرت بزمهم ويصدهم على الاسلام والمسلمين ومثل ذلك تنوفر الدواعي على نقله ولا يسع الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلاحاء علماء الدين . نعم كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي القبر المكرم ويقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا ابي . ثم ينصرف ، وكذلك انس وغيره فاذا ارادوا الدعاء إستقبلوا القبلة ، ثم اعلم ان هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد قل صلى الله عليه وسلم (كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد) . واما دعوى هؤلاء الغلاة ان الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته فان هذا بما يعلم بالضرورة انه من الكذب على الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ولما عدل الفاروق الى التوسل بدعاء العباس ومعاوية يزيد بن الاسود الجرشي ولكن يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم ان يتوسلوا بالنبي ﷺ ولا يطلبون من العباس ان يدعو لهم ، وبما يوضح لك الامر أن هذا الحديث غير صحيح أن رواه مختلفون في متنه وسنده مع انه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة وانما ذكره مثل البيهقي والطبراني والترمذي وابو نعيم ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الاحاديث الضعيفة او الموضوعة على وجه التنبيه ، وقد رأى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لاثمة عليه فأعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه والله اعلم .

فصل

قال الملحد : وفي حاشية العلامة ابن حجر على الايضاح للنووي ما نصه

« وقد صح في حديث طويل ان الناس اصابهم قحط في زمن عمر فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله استق لامتك فجاءه في النوم واخبره انهم يسقون فكان كذلك » انتهى . فالجواب ان يقال : هذا الحديث الذي ذكره هذا المصنف في حاشية ابن حجر على الايضاح للنووي قد رواه البيهقي وابن ابي شيبة عن بلال بن الحارث وليس فيه دلالة على جواز دعاء النبي ﷺ والتوسل به والاتجاه اليه والاستغاثة به بل هو من جنس المنامات التي لا يعتمد عليها في الاحكام ولا يثبت بها حكم شرعي . وايضاً ففي هذا الحديث مقال مشهور قال الحافظ في الفتح : وروي ابن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الداري - وكان خازن عمر رضي الله عنه - قال : اصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ في المنام فقبل له اثنتي عشرة الفضة وقد روي سيف في الفتوح ان الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني احد الصحابة انتهى . فعلم ان ما روى باسناد صحيح ليس فيه ان الجاني احد الصحابة وما فيه ان الجاني احد الصحابة ضعيف غاية الضعف ، قال الذهبي في الميزان : سيف بن عمر الضبعي الاسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والرواة وغير ذلك هو كالأقادي يروي عن هشام بن عروة وعبد الله بن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من الجهولين كان اخبارياً عارفاً يروي عنه عبادة بن المفلس وابو معمر القطيعي والنضر بن حماد العتكي وجماعة ، قال ابو عباس عن يحيى ضعيف ، وروي مطين عن يحيى فليس خير منه . قال ابو داود : ليس بشيء ، وقال ابو حاتم : متروك ، وقال ابن حبان : انهم بالزندقة ، وقال ابن عدي : عامة حديثه منكر ، قال مكحول البيروني : سمعت جعفر بن ابان سمعت ابن غير يقول : سيف الضبعي تميمي كان جميع يقول : حدثني رجل من بني تميم كان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة انتهى ملخصاً قال الحافظ في التقریب سيف بن عمر التميمي صاحب الردة ويقال له الضي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في الاخبار

افحش ابن حبان القول فيه انتهى . وقال الذهبي في الكاشف : قال ابن معين وغيره ضعيف ، وقال في الخلاصة سيف بن تميم الاسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر الجعفي وابي الزبير وعنه محمد بن عيسى الطباع وابو معمر الهذلي ضعفوه انتهى . فهذا ما قيل في حديث بلال بن الحارث الذي رواه البيهقي وابن ابي شيبة فان كان الذي رواه الحافظ في الفتح وعلى الايضاح للتوري فيه ما قال الحافظ من المقال آتفاً وان كان غير ذلك فغاية ما فيه انه رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فان هذا قد يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ .

قال شيخ الاسلام : وايضاً ما يروي ان رجلاً جاء الى قبر النبي ﷺ فشكى اليه الجذب عام الرمادة فرآه وهو يأمره ان يأتي عمر فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس فان هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ واعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ او لغيره من امته حاجة فتقضي له فان هذا قد وقع كثيراً وليس بما نحن فيه وعليك ان تعلم ان اجابة النبي ﷺ او غيره لهؤلاء السائلين ليس هو بما يدل على استحباب السؤال فانه هو القائل ﷺ ان احدهم ليساني المسألة فأعطيه ايها فيخرج يتأبطها ناراً فقالوا يا رسول فلم تعطهم ؟ قال : يا بون الا انت يسألوني ويأني الله لي البخل واكثر هؤلاء السائلين الملاحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضطراب ايمانهم كما ان السائلين في الحياة كانوا كذلك وفيهم من أجيب وامر بالخروج من المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل على حسن حال السائل فلا فرق بين هذا وهذا انتهى .

وهذا الحديث على تقدير ثبوت صحته لا يدل على ما يتوهمه هذا الملاحظ غاية ما فيه انه سأل النبي ﷺ ان يستسقي لامته فأمره ان يأتي عمر فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس فكان المستسقي بالناس عمر لا رسول الله ﷺ ، فتبين من هذا انه لا تطلب السقيا الا من الحي بدعائه لا من الميت لامره ﷺ

بذلك وخروج عمر بالصحابة يستسقون فسقوا والله اعلم .

فصل

قال الملحد : واخرج البيهقي والحاكم والطبراني في الصغير وابو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمد ؟ قال : لانك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً « لا اله الا الله محمد رسول الله » فعلمت انك لم تضيف الى اسمك الا أحب الخلق اليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الي واذا سألتني بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك . والجواب : ان يقال هذا حديث ضعيف بل موضوع فلا يعتمد عليه ولا يعول عليه ، قال الذهبي في الميزان عبدالله بن مسلم ابو الحارث الفهري عن اسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم خبراً باطلاً فيه يا آدم لولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في « دلائل النبوة » قال في « مجمع الزوائد » : رواه الطبراني في (الاوسط) و (الصغير) وفيه من لا اعرفهم انتهى . وذكر الحافظ بن عبد الهادي عن الامام مالك رضي الله عنه انه قال فيه : اذهب الى عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يحدثك عن ابيه عن نوح . وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : سأل رجل عبد الرحمن بن زيد بن اسلم حدثك ابوك عن ابيه عن جده ان سفينة نوح طافت بالبيت وصات ركعتين . قال نعم وقال ابن خزيمة عبد الرحمن بن زيد ليس من يحتج اهل العلم بحديثه . وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني حدث عن ابيه لا شيء . وقال ايضاً في الصارم المنكي واني لأتعجب منه كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم الذي رواه في التوسل وفيه قول الله لا آدم ولولا محمد ما خلقتك مع انه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الاسناد جداً وقد حكم عليه بعض الائمة بالوضع

وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد صحيحاً بل هو مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه، ولو كان صحيحاً إلى عبد الرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به، لأن عبد الرحمن في طريقه. وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في غير موضع فإنه قال في كتاب (الضعفاء) بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم، وقال: ما حكيت عنه فيما تقدم أنه روي عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة إن الحمل فيها عليه قال في آخر الكتاب فهو لا. الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لأن الجرح لا يثبت إلا ببينة، فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبني به فإن الجرح لا يستعمل تقليداً، والذي اختاره لصاحب هذا الشأن إن لا يكتب حديثاً واحداً من هؤلاء الذين سميتهم، فالراوي لحديثه داخل في قوله صلى الله عليه وسلم «من حديث يحدث وهو يروي أنه كذب فهو أحد الكاذبين» هذا كله كلام الحاكم أبي عبد الله صاحب المستدرک، وهو متضمن أن عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليل، وإن الراوي لحديثه داخل في قوله صلى الله عليه وسلم «من حدث بحديث وهو يروي أنه كذب فهو أحد الكاذبين» انتهى. فتبين من كلام العلماء حجة اللسنة وأهل الجرح والتعديل الذين حفظ الله بهم الدين عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الزائغين إن هذا الحديث موضوع مكذوب لا يعتمد عليه وأقل أحواله أن يكون ضعيفاً ولا نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لا نجزم بصحته وثبوته وإن كان قد صححوه الحاكم فالجراح مقدم على التعديل مع أنه قد قال في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما قال فنأخذ بقوله مع أقوال أئمة هذا الشأن ولا نأخذ بغلطه وخطائه فيما أخطأ فيه. إذا عرفت هذا وتحققته فالصحيح المأثور عن أئمة التفسير على قوله تعالى «فلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» أن هذه الكلمات هي المفسرة بقوله تعالى «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نقر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» وهذا مروي عن سعيد ابن جبير ومجاهد وإبي العالية والربيع بن أنس والجسين وقيادة ومحمد بن

كعب القرضي وخالد بن معدان وعطاء الحراماني وعبد الرحمن بن زيد وعن بن عباس قال علم شأن الحج وعبيد بن عمير انه قال قال آدم «يا رب خطيئتي التي اخطأت شيء كتبت عليّ قبل ان تخلقني او شيء ابتدعته من قبل نفسي» ؟ قال بل كتبت عليك قبل ان اخلقك . قال فكما كتبت علي فاغفر لي . قال فذلك قوله « فتلقى آدم من ربه كلمات » وعن بن عباس قال آدم عليه السلام : الم تخلقني بيدك ؟ قيل له بلى . ونفذت في من روحك ؟ وقيل بلى . وعطست فقلت يرحمك الله وسبق رحمتك غضبك ؟ قيل بلى . وكتبت علي ان اعمل هذا ؟ قيل له بلى . قال افرأيت ان تبت هل انت راجعي الى الجنة ؟ قال نعم . وكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد ورواه الحاكم في مستدركه الى ابن عباس وروي بن ابي حاتم حدثنا مرفوعاً شبيهاً بهذا وعن مجاهد قال الكلمات (اللهم لا اله الا انت سبحانك ومحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين ، اللهم لا اله الا انت سبحانك ومحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الراحمين ، اللهم لا اله الا انت سبحانك ومحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم) هذا ما عليه المفسرون لا ما قاله هذا الاحمق فان كانت بعض من لا بصيرة له قد ذكره فالحجة فيما ثبت عن الصحابة وعن سلف الامة وانتمها ولا يجوز تفسير القرآن باقوال شاذة او موضوعة لا تثبت عند اهل العلم والحديث واثمة التصحيح والترجيح انتهى .

واما قول هذا الملحد: قال في المواهب اللدنية روي انه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد ﷺ مقروناً باسمه تعالى ، فقال : يا رب هذا محمد من هو ؟! قال الله : هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك . فقال يا رب بجرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فتودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك . فالجواب ان نقول : هذا من نط ما قبله من الموضوعات المكذوبات التي لا اصل لها في الكتاب والسنة ولا رواها احد من يعتمد عليه من الائمة فلا

بلفت اليه ولا يعول في الحكم عليه والله اعلم .
وأما قوله : والله در من قال :

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا
يشاهد في (عدن) ضياءً مشعشعاً
فقال : آلهي ما الضياء الذي ارى
فقال : نبي خير من وطىء الثرى
تخيرته من قبل خلقك سيدا
واعدته يوم القيامة شافعاً
فيشفع في انقاذ كل موحد
وان له اسماء مميته بها
فقال : الهى امنن على بتوبة
بجرمة هذا الاسم والزلفة التى
اقلني عثاري يا الهى فان لي
قتاب عليه ربه وحماه من

واثواب شمل الانس بحكمة السدى
يزيد على الأنوار في الضوء والهدى
جنود السماء تعشو اليه ترددا ؟
وافضل من في الخير راح او اغتدى
والبسنة قبل النبيين مؤددا
مطاعاً اذا ما الغير حاد وحيدا
ويدخله جنات عدن مخلدا
ولكنني احببت منها (محمدا)
تكون على غل الخطيئة مسعدا
خصصت بها دون الخليفة (احمد)
عدواً لعيناً جار في القصد واعتدا
جناية ما اخطاه لا متعمدا

والجواب ومن الله استمد الصواب :-

اقول لعمرى ما لهذا حقيقة
لما طعن الحفاظ فيه واوهنوا
ولو صح هذا في فضائل (أحمد)
فما كان في الفردوس (آدم) في الصبا
يزيد على الانوار نور ضيائه
(فقال : نبي خير من وطىء الثرى
فلم ير في الفردوس هذا ولم يقل
نعم كان في المعلوم ان نبينا
فليس له في الخلق حتماً مماثلاً
ولكنه ما قيل هذا لآدم

ولو صح هذا القول او كان مسنداً
اسانيده حتى غدا واهياً سدا
لكان به الحفاظ اولى واسعدا
يشاهد في (عدن) ضياءً آمدا
(جنود السماء تعشو اليه ترددا)
وافضل من في الخير راح او اغتدى
آلهي ما هذا الضياء الذي بدا
(محمد) المعصوم قد كان اوحداً
يمثله في الفضل والجود والندا
فتنفي الذي ما قيل والفضل قد بدا

ولا قال في الفردوس يوماً لآدم
(واعددته يوم القيامة شافعاً)
ولا قال في الفردوس يوماً لآدم
(وان له اسماء سميت بها)
(فقال آلهي امنن علي بتوبة)
(بجرمة هذا الإثم والزلفة التي)
فعل الذي قد قال ما صح نقله
وسيدنا المعصوم افضل خلقه
فكان لعمرى سيداً ذا جلالة
ومات ودين الله للناس واضح
وغادر في اتباعه النور فاهتدوا
فكان لهم يوم القيامة شافعاً
واعداؤه في ظلمة الكفر والهوى
فليس لهم يوم القيامة شافعاً
قدع ذا ولا يغرك الوان وشبه
فذاك من الموضوع اذ كان لم يكن
فسيدنا المعصوم اكمل خلقه
وان له فضلا عن الناس كلهم
رواه عن المعصوم حفاظ دينه
واعظم بما قاله الكسم والذي
فقها روى الحفاظ في حق (احمد)
عن الكذب الموضوع والحق واضح
وخال سافها ان ما قال فرية
لعمرى لقد اخطأ من الحق مهيماً
وام طريقاً مظلماً غير ناصع

(تخيرته من قبل خلقك سيداً)
(والبسته قبل النبيين سؤدداً)
مخاطبه فيها خطاباً مؤكداً
ولكنني احببت منها محمداً)
تكون علي غسل الخطيئة مسعداً)
خصصت بها دون الخليفة احمداً)
ولا قيل في الفردوس هذا ولا بدا
ولا شك في هذا الذي من تسودا
ببعثته زال الظلام وابعدا
ومهيجه قد كان نهجاً معبدا
فكانوا على هذا الضياء وفي الهدى
لا خلاصهم في الدين اذ كان احمداً
قد انهكوا في الفبي والجهل والردي
لاشراكم جهلاً والا بعمدا
فليت امرو الله بحكمة السدى
رواه عن الاعلام من كان سيداً
واكرمهم بيتاً ونفساً ومختداً
يزيد على هادي الاقاويل مسندا
ومنهم به كانوا احق واسعدا
زوي عنه في المعصوم درأ منضدا
من الفضل ما يعني اولى الدين والهدى
وان لم ير ذا الحق من كان ارمدا
مجازرة للحد أهدي وارشدا
سويلاً سميلاً مستقيماً مهيماً
ولا مستقيم قد غلا فيه واعتدا

لعمري لقد أعطاه ربي فضالاً
فأعطيني لواء الحمد والكواثر الذي
وان له حوضاً هنيئاً شرابه
وأعلى من الشهد المصفى عذوبة
ويشفع في يوم القيامة للورى
ويقعد سبائحه فوق عرشه
فيغطيه كل الخلائق لجلاله
وقد خضه المولى بما لم تحيط به
فدع عنك ما قال الفلاة وان رزوا
فأخبارهم موضوعة ونظامهم
وخص بها الرحمن فضلاً محمداً
عباد الله العرش حقاً واحمداً
به يشرب الشهي كاساً مستوداً
وغنمه ينعم من عنا وتمرداً
ليحكم بين الخلق ذو العرش بالمهدي
كما جاء هذا في الأحاديث مستنداً
بما قد جاء الله فضلاً والحمد
ونخصه علماً أو حساباً محمداً
بذلك اخباراً ودرأ من هذا
لعمري الهى باطل واهى الشدي

فصل

قال الملقن : وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال قال رسول الله
ﷺ « من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك
واسألك بحق ممشي هذا اني لم اخرج اضرأ ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة واقفا
سمرجت اثناء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر
لي ذنوبي ، انه لا يغفر الذنوب الا انت ، اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له
شبعون الف ملك » رواه ابن ماجة ورواه ابن السني باسناد صحيح عن بلال
والجواب ان يقال : لهذا الحديث ضعف رواه غطية العوفي وفيه ضعف ،
قال شيخ الإسلام : (ولكن بتقدير ثبوتة هو من هذا الباب فان حق السائلين
عليه سبحانه ان يجيبهم وحق المطيعين له ان يثيبهم ، فالسؤال له والطاعة له
سبب حصول اجابته واثابته ، فهو من التوسل به والثوجه والتسبب به ولو
قدر انه قسم لكان قسماً بما هو من صفاته فان اجابته واثابته من افعاله
واقواله فصار هذا كقوله ﷺ في الحديث الصحيح « اعوذ بربك من سخطك
وبعافتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا اخصي ثناء عليك انت كما اثنيت على

نفسك . . والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الامام احمد وغيره من
 الاثمة الى آخر كلامه رحمه الله . فتبين من كلام الشيخ ان السؤال بحق السائلين
 هو اجابتهم وسؤاله بحق الطائعين اثابتهم فيكون السائل بهذين سائلا بصفات
 الله فان الاجابة والاثابة من افعاله واقواله سبحانه وتعالى وسؤال الله بأسمائه
 وصفاته والتوسل بها ثابت بالكتاب والسنة قال الله تعالى : (والله الاسماء
 الحسنى فادعوه بها) وفي الحديث عن عبد الله بن بريدة عن ابيه (ان رسول
 الله ﷺ سمع رجلاً يقول اللهم اني اسألك بأن لك الحمد لا اله الا انت الاحد
 الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد فقال ادع الله باسمه الاعظم
 الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب) رواه الترمذي وابو داود الى
 غير ذلك من الاحاديث وكذلك التوسل بالاعمال الصالحة كما ثبت ذلك
 بالكتاب والسنة . كما روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « بينا ثلاثة نفر
 يتأشون اخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من
 الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالاً عملتموها لله صالحة
 فادعوا الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه ، فليس في حديث ابي سعيد
 الحدرى ما يدل على ما ادعوه من التوسل بذوات الانبياء والاولياء والصالحين
 فضلاً عن دعائهم والاستغاثة بهم والاتجاه اليهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .
 واما قوله : وما جاء عنه ﷺ من التوسل قوله « اغفر لأمي فاطمة بنت
 اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي » الى آخره ،
 فالجواب : ان هذا من غلط ما قبله وقد تقدم الكلام على جنسه وفي سنده
 روح بن صلاح المصري ضعفه ابن عدي وتصحيح الحاكم لان مجدي شياً وقد
 تقدم عن اهل العلم انه لما جمع المستدرك على الشيخين ذكر فيه من الاحاديث
 الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة وقد روى فيه جماعة من المجروحين
 في كتابه في الضعفاء انتهى . واما روايه الطبراني له ، فيقال في هذا المصحح
 في الطبراني من حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل بأسماء الله تعالى
 وصفاته واثابة الوجوه اليه ؟ فما اعمى عينك عنها ! هل هناك شيء اعماها سوى

الجهل والهوى ؟ وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد . وقال شيخ الاسلام :
قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت احداً قال بجوازها الا ابن عبد
السلام في حق نبينا عليه افضل الصلاة والسلام اترى هذا الحديث خفي على
علماء الأمة لم يعلموا ما دل عليه ثم لو سلمنا صحته او حسنه ففيمه ما مر في
حديث الاعمى ان المراد بدعاء نبيك الى آخره واي وسيلة بذوات الانبياء
لمن عصى امرهم وخرج عما جاؤا به من التوحيد والشرع قال شيخ الاسلام :
فاذا قال الداعي اسألك بحق فلان وفلان لم يدع له وهو لم يسأله باتباعه لذلك
الشخص او محبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن
قد سأله بسبب يوجب المطلوب انتهى .

فصل

قال الملحد : وفي الاذكار للتووي ما نصه رويناه في كتاب ابن السني عن
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : اذا انفلتت دابة
احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان الله عز
وجل في الارض حاضرآ سينحبسه . والجواب : ان يقال : هذا حديث فيه
مقال فان فيه روح بن حسان وهو ضعيف قال الذهبي في الميزان او معروف
ابن حسان ابو معاذ السمرقندي عمر بن ذر قال ابن عدي منكر الحديث قد
روي عمر ابن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة وعلى تقدير صحته انما يفيد نداء
حاضر كنداء زيد عمروآ مثلاً ليمسك دابة او ليرجمها او ليناوله ماء او طعاماً
او نحو ذلك وهذا بما لا نزاع فيه ، غاية ما في الباب ان عمروآ مثلاً محسوس
وهؤلاء لا يرون لأنهم اما مسلمو الجن او ملائكة متكلمون لا نداء على شيء
يقدر عليه الا الله تعالى . وابن هذا من الاستغاثة باصحاب القبور من الاولياء
والمشائخ ؟ والمقصود انه ليس في الحديث الا نداء الأحياء والطلب منهم مسا
يقدر هؤلاء الأحياء عليه وذلك لا تنكره .
واما قول هذا الملحد : واما ما تمسك به الوهابية من قوله لابن عباس اذا

سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما أنت لاق فلو جهدت الخليفة على أن تنفعك لم تنفعك إلا بشيء كتبه الله لك ولو جهدت على أن تنضر لم تنضر إلا بشيء كتبه الله عليك ، فلا يدل على عدم التوصل لأن المتوصل إلى الله برسوله ما سأل إلا الله ولا استعان إلا به مع اعتقاده بأن النفع والضرر صار منه سبحانه وتعالى . فالجواب أن نقول : نعم هذه كانت حال (الوهابية) فأنهم كانوا يتسكبون بكتاب الله وبما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ ويعملون به ويتكفون ما خالف الكتاب والسنة ويعملون بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها ولا يحدثون في دين الله ما لم يشرعه الله ورسوله فهم يختلف من نبذ كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم وأتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولو جهد اعتداء الله ممن خالف الوهابية أن يستدركوا على الوهابية في الطول الذين وفروا عنهم أنهم استدلوا على ما يذهبون إليه بحديث موطوع أو ضعيف لا يصح الاحتجاج به لما وجدوا إلى ذلك سبيلا فضلا من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم . وهذا الحديث خرجه الترمذي من حديث غنشل الضمعي عن ابن عباس ، وقال : حديث حسن صحيح ، وخرجه الإمام أحمد من حديث غنشل الضمعي ، وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وعبيد الله بن عبد الله وعمر مولى عفرة وابن أبي مليكة وغيرهم . قال الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى على هذا الحديث : وقوله ﷺ إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله هذا مشترك من قوله تعالى (وإياك نستعين) فإن السؤال هو دعاؤه والرغبة إليه والدعاء هو العبادة كما روي عن النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير وتلا قوله (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وخرج الترمذي من حديث انس بن مالك عن النبي ﷺ (الدعاء من العبادة) فحسن هذا الكلام أن يسأل الله عز وجل ولا يسأل غيره وأن يستعان بالله

دون غيره ، وأما السؤال فقد أمر الله بسؤاله ، فقال (واسألوا الله من فضله)
وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً : اسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن
يسأل ، وفيه أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً من لم يسأل الله يغضب عليه ، وفي
حديث آخر يسأل أحدكم ربه حاجة كلها حتى يسأل شفاعته إذا انقطع ، وفي
النهج عن مسألة المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة وقد تابع النبي ﷺ جماعة
من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً منهم أبو بكر الصديق وأبو ذر
وثوبان ، وكان أحدهم يسقط السوط وخطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله
إياه وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، أن
رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن بني فلان اغاروا علي فذهبوا
بإني وإيلي . فقال النبي ﷺ : أن آل محمد كذا وكذا أهل بيت ما لهم مد من
ظلام أو ضاع فاسأل الله عز وجل ، فرجع إلى امرأته فقالت مالك ؟ فاجبرها
فقالت : نعم ما رد عليك ، لما لبث أن رد الله عليه ابنة وابنه أوفر ما كانت ،
فأتى النبي ﷺ فاجبره فشهد المنبر فشهد الله وأثنى عليه وأمر الناس بمسألة الله
عز وجل والرغبة إليه وقرأ (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث
لا يحتسب) وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ : أن الله عز وجل يقول :
هل من داع فاستجب له دعاءه ؟ هل من سائل فأعطيه مثوله هل من مستغفر
فأغفر له ؟ وخرج الحاملي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن
النبي ﷺ ، قال الله تعالى : من ذا الذي دعاني فلم أجبه ويسألني فلم أعطه
وامستغفرني فلم أغفر له وأنا أرحم الراحمين ؟ انتهى . وأما قوله : فلا يدل على
عدم التوصل ، لأن المتوصل إلى الله برسوله ما سأل إلا الله ولا استعان إلا به
مع اعتقاده بأن النفع والضرر صادر منه سبحانه وتعالى ، فالجواب أن نقول :
أما دعوة ابن المتوصل إلى الله برسوله ما سأل إلا الله ولا استعان إلا به من
أقبح الكلام وأبطل الباطل وأحل المحال وهو مضاد لقوله تعالى (إياك نعبد
وإياك نستعين) فإن تقديم المفعول وهو إياك وتكريره للاهتمام والحضرة
إني لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة والدين كله

يرجع الى هذين المعنيين ، فالاول التبرىء من الشرك ، والثاني التبرىء من
الحول والقوة ، فقله ، (اياك نعبد) اي اياك نوحده ، ومعناه انك تعاقد
ربك ان لا تشرك في عبادته احداً لا ملكاً ولا نبياً ولا غيرها ، فان السؤال
هو دعاؤه والرغبة اليه والدعاء هو العبادة وقله (اياك نستعين) هذا فيه سؤال
الله الاعانة وهو التوكل والتبرىء من الحول والقوة وفرق بين سؤال الله
وسؤال برسوله ، ومن قال ان المتوصل الى الله برسوله ما سأل الا الله ولا
استعان الا به لم يفرق بين الخالق والمخلوق ، والمسؤول والسائل وهذا هو
حقيقة مذهب الاتحادية وكفى بسلوك طريق اهل الوحدة ضلالاً وخروجاً
عن الصراط المستقيم . وان كان اراد هذا الملحد ان المتوصل الى الله برسوله
ما سأل ولا استعان الا بالله يعني ان المسؤول والمستعان به في الحقيقة هو الله
واما النبي ﷺ فهو واسطة بينه وبين السائل المستعين ، فهو سبحانه وتعالى
المسؤول المستعان به حقيقة منه بالخلق والايحاء والذي ﷺ مستعان مسؤول
منه بالكسب والتسبب العادي فان كان اراد هذا فهذا هو فعل المشركين
الذين بعث الله فيهم رسوله ﷺ فانهم كانوا يعلمون ان الله تعالى هو الخالق
الموجد النافع الضار ، واما الاصنام وغيرهم من الملائكة والاولياء والصالحين ،
فيقولون انها اسباب ووسائل عادية فمن اجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون
بهم وينحرون لهم وينذرون لهم والدعاء والنذر والذبح والاستغاثة والسؤال
والاستعانة والاستعاذة كلها من اقسام العبادة واذا حملتم لفظ الدعاء والاستغاثة
والاستعانة والنذر التي هي من اقسام العبادة على معناها المجازي فليحمل
لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الاولين الذي حكا الله تعالى عنهم حيث
قال سبحانه وتعالى (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) فما وجه الفرق
واني ذلك ؟ . فاذا عرفت هذا فاعلم ان سؤال الله عز وجل دون خلقه هو
المتعين لان السؤال فيه اظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار
وفيه الاعتراف بقدر المسؤول على دفع الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع
ودفع المضار ولا يصلح الذل والافتقار الا الله وحده لانه حقيقة العبادة ،

وكان الامام احمد رحمه الله يدعو ويقول : اللهم كما صنت وجهي عن السجود
لغيرك فضنه عن المسألة لغيرك ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك ،
كما قال تعالى (وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا
راد لفضله) وقال (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا
مرسل له من بعده) والله تعالى يحب ان يسأل ويرغب اليه في الحوائج ويلج
في سؤاله ودعائه ويفضبه على من لا يسأله ويستدعي من عباده سؤاله وهو قادر
على اعطاء خلقه كلهم سؤالهم من غير ان ينقص من ملكه شيء والخلق بخلاف
ذلك كله يكره ان يسأل ويجب ان لا يسأل لعجزه وفقره وحاجته ، ولهذا
قال وهب بن منبه لرجل كان يأتي الملوك : ويحك تأتي من يغلق عنك بابه
ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل
ونصف النهار ويظهر لك غناه ويقول ادعني استجب لك ! وقال طاووس
اعطاء : اياك ان تطلب حوائجك الى من اغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابا
وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيامة امرك ان تسأله ووعدك ان يجيبك .
واما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجز عن
الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه الا
الله عز وجل فمن اعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول ، وهذا تحقيق
معنى قول « لا حول ولا قوة الا بالله » فان المعنى لا تحول للعبد من حال الى
حال ولا قوة له على ذلك الا بالله ، وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز
الجنة فالعبد محتاج الى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المخطورات
والصبر على المقدرات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من احوال البرزخ
ويوم القيامة ولا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فمن حقق الاستعانة عليه في
ذلك كله اعانه ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : احرص على ما
ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله
الله الى من استعان به فصار مخذولاً ، كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا
تستعن بغير الله فيكلك الله اليه ومن كلام بعض السلف : يارب عجبت لمن يعرفك

كيف يستعين الغيرك ؟ انتهى .

فصل

قال المالحد : الباب الثالث : في اقوال العلماء العاملين الذين هم ائمة الدين بالتوسل بالانبياء والصالحين وفي الخصائص ، واختص ايضا بجواز القسم به على الله الكريم المنعم واختص عليه السلام بجواز ان يقسم على الله به ، وفي المواهب اللدنية قال : ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصوراً على النبي صلى الله عليه وآله لأنه سيد ولد آدم وان لا يقسم على الله بغيره من الملائكة والانبياء والاولياء لأنهم ليسوا في درجته وان يكون هذا مما اختص به لعلو درجته ومرتبته . انتهى والجواب : ان يقال : ان مسألة التوسل بالانبياء والصالحين قد نص على المنع منها جمهور اهل العلم بل ذكر الشيخ في رده على ابن البكري انه لا يعلم قائلًا بجوازه الا ابن عبد السلام في حق النبي صلى الله عليه وآله ولم يجزم بذلك بل غلق القول به على ثبوت حديث الامي وصحته وفيه من لا يحتاج به عند اهل الحديث ولم يجز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله ولا بالانبياء والصالحين احد من يعتقد به ويعتدي به كالائمة الاربعة وامثالهم من اهل العلم والحديث ، قال شيخ الاسلام : بل لو اقسم على الله ببعض خلقه من الانبياء والملائكة وغيرهم لنهي عن ذلك ولو لم يكن عند قبره كما لا يقسم بمخلوق مطلقاً وهذا القسم منه غير منعقد باتفاق الائمة وهل هو نهي تحريم او تنزيه على قولين أصحها انه نهي تحريم ولم ينافع العلماء الا في الحلف بالنبي صلى الله عليه وآله خاصة فان فيه قولين في مذهب احمد وبعض اصحابه كابن عقيل لطرد الخلاف في الحلف بسائر الانبياء لكن القول الذي عليه جمهور الائمة كمالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم انه لا يعتقد اليقين بمخلوق البتة ولا يقسم بمخلوق البتة وهذا هو الصواب ، والاقسام على الله بنبيه محمد صلى الله عليه وآله ينبغي على هذا الاصل ، ففي هذا النزاع ، وقد نقل عن احمد في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله في منسك المروذي ما يناسب قوله بالاعتقاد اليقين ، لكن الصحيح انه لا تعتقد اليقين به فكذلك هذا . ثم قال هذا المالحد :

وخالف في ذلك بعضهم فجوزوا القسم على الله تعالى بكل نبي بل جوز بعضهم التوسل بالصالحين حتى قال الاستاذ ابو العباس المرسى الشاذلي : من له حاجة الى الله تعالى فليتوسل في قضائها بأبي حامد الغزالي . فالجواب : ان نقول لا يجوز الاقسام على الله بخلافه لا الانبياء ولا غيرهم باتفاق الأئمة ، كما حكاه شيخ الاسلام آنفاً وحكى الخلاف في النبي ﷺ خاصة قال واما غيره فما علمت بين الامة فيه نزاعاً بل قد صرح العلماء بالنهي عن ذلك واتفقوا على ان الله يسأل ويقسم عليه باسمائه وصفاته كما تقدم بيانه مراراً ، واما قول الشاذلي : من كانت له حاجة الى الله فليتوسل في قضائها بأبي حامد الغزالي . فاقول : قد كان من المعلوم ان الشاذلي هذا من الغلاة وليس من اهل العلم المعروفين بالصلاح والدين ولا من جملة سيد المرسلين بل من الدعاة الى عبادة الاولياء والصالحين فلا حاجة في قوله وقد تكلم العلماء في ابي حامد الغزالي ، فقال الفقيه ابن العربي المالكي : شيخنا ابو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم اراد ان يخرج فلم يحسن الخروج . هذا كلام تلميذه وهو من اعرف الناس به ، وقال ابو بكر الطرطوشي : شعن ابو حامد كتاب الاحياء بالكذب على رسول الله ﷺ وما على بسط الارض اكذب منه شبكه بذهاب الفلسفة ومعاني رسائل اخوان الصفا وهم قوم يرون النبوة مكتسبة زعموا ان المعجزات حيل ومخاريفه انتهى ، فاذا كان هذا كلام العلماء في ابي حامد مع انه لو كان سالماً من القول المذكور وكان في درجة احد من الصحابة او افاضل التابعين والأئمة المقلدين لم يكن التوسل به جائزاً بعد مماته وانه يقضي حاجة من سأل قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وقد منع العلماء ذلك في حق جميع الانبياء فضلاً عن دونهم ووقع النزاع في الحلف بنبينا ﷺ على القول بصحة الحديث ، ولا يصح فكيف الحال بالشاذلي الذي يدعو الناس الى التوسل الى الله في قضاء حوائجهم بأبي حامد وقد عرفت ما يعنون هؤلاء الغلاة بالتوسل انه دعاء الاموات والغائبين والالتجاء اليهم في طلب الحوائج وكشف الكربات واغاثة الهمم والاستغاثة بهم في جميع الطلبات وقد ذكر شيخ الاسلام ان ابا

حامد الغزالي رجع عن مقالاته وندم على هفواته ورطانه ومات والبخاري على صدره ، فيكون المقصود بالكلام ردماً في كلامه من الباطل وأبطال قول من زعم ان من كانت له حاجة الى الله فليتوسل في قضاءها بأبي حامد لان العلماء قد منعوا من ذلك في حق من هو افضل منه فكيف به وبأمثاله .

فصل

قال المالحد : قال السبكي : ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي الى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يلقه عالم قبله وصار بين اهل الاسلام مثله . انتهى . والجواب ان يقال قد تقدم الكلام على التوسل وما يراد به في لغة الصحابة والتابعين والائمة المهتدين وما يراد به في عرف هؤلاء الفلاة المخرفين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ويسعون في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين ، واما الاستغاثة والتشفع بالنبي الى ربه ، فروي الطبراني انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله ، فقله قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق لأنه ﷺ يقدر على كفاه ، واما قوله انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله ، فيه النص على انه لا يستغاث بالنبي ﷺ ولا من دونه كره ﷺ ان يستعمل هذا اللفظ في حقه وان كان بما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك وادباً وتواضعاً لربه وتحذيراً للامة من وسائل الشرك في الاقوال والافعال فاذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته فكيف يجوز ان يستغاث به بعد وفاته ويطلب منه اموراً لا يقدر عليها الا الله عز وجل ومن المعام بالضرورة ان الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب

للعون ، وقال ابو عبد الله الحليمي الغياث هو المفيت واكثر ما يقال غياث
المستغيثين ومعناه المدرك عبادته في الشدائد اذا دعوه وبجيهم ومخلصهم ،
وقال ابو يزيد البسطامي : استغاثه الخلق بالخلق كاستغاثه الغريق بالغريق ،
وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي : استغاثه الخلق بالخلق كاستغاثه المسجون
بالمسجون وفي دعاء موسى عليه السلام « اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت
المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله » ولما
كان هذا المعنى هو المفهوم عند الاطلاق وكان مختصاً بالله صح اطلاق لقبه مما
سواه ، ولهذا لا يعرف عن احد من ائمة المسلمين انه جوز مطلق الاستغاثه
بغير الله وكذلك الاستغاثه ايضاً منها ما لا يصح الا الله وهي المشار اليها
بقوله « اياك نعبد واياك نستعين » فانه لا يعين على العبادة الا عانة المطلق الا
الله وقال ابن اقيم رحمه الله : ومن انواعه - أي الشرك - طلب الحوائج من
الموتى والاستغاثه بهم وهو اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا
يملك لنفسه نفعا ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به وسأله ان يشفع له الى الله وهذا
من جهله بالشافع والمشفوع عنده فانه لا يقدر ان يشفع له عند الله إلا باذنه
والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه وانما السبب كمال التوحيد فجاء هذا الشرك
بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها وهذه حالة
كل مشرك فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة اهل التوحيد
ونسبة اهله الى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك واوليائه
الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص إذ
ظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم امروهم به وانهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم
اعداء الرسل في كل زمان ومكان وما اكثر المستعجيين لهم وما نجا من
شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله
وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه وآله ومعبوده فجرد حبه لله
وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستغاثته بالله والتجاءه الى الله
واستغاثته بالله وقصده لله فهو لله وبالله ومع الله انتهى . واما قوله : ولم

ينكر ذلك احد من السلف والحلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك وعدل
عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين اهل الاسلام مثله ،
فاقول ان هذا الكلام كلام من لا يخاف الله ولا يتقيه فانه قد كذب فيما قاله
وافترى وقد خاب من افترى ، واكمل الناس واكرمهم على الله سيد ولد آدم
انكر هذا وقال انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله ، وقال عليه السلام (لا تقولوا
ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده) ولو كان عند هذا
الرجل من الدين ما يزعمه ومن الحياء ما يردعه ما فاه بهذه الخرفة فانه قد سبق
شيخ الاسلام على ذلك الأئمة الأعلام سلفاً وخلفاً وما خالفهم في ذلك الا كل
من لا يعتد به ولا يعتمد عليه في الخلاف والوفق وقد تقدم كلام ابي عبد الله
الحلي وكلام ابي يزيد البسطامي وابي عبد الله القرشي وكلام العلماء في ذلك
سلفاً وخلفاً كثير جداً لا يخفى الا على من اعمى الله بصيرته وقد اشتهر
وظهر عند الخاص والعام من عدل شيخ الاسلام وانصافه ان ليس عنده في
« مسائل الفروع ميل الا الى ما دل عليه الكتاب والسنة واذا ذكر المسألة فانه
يذكر فيها مقالات الأئمة الاربعة واصحابهم وغير اصحابهم ممن بعدهم او
قبلهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ويذكر دليل كل قول وتقريره على
وجه لا يكاد يوجد في الكتب المصنفة لهم فكيف في مسائل اصول الدين التي
ليس بين الامة في مسائلها المشهورة خلاف وانما يخالف فيها اهل الأهواء
والبدع وهو من اعرف خلق الله بمذاهب اهل الأهواء ووقت حدوثها .
قال الامام الذهبي : في معجم شيوخه هو شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر
علماً ومعرفة وشجاعة وذكا ، وتنويراً ، لهياً وكرماً ونصحاً للامة وامراً
بالمعروف ونهياً عن المنكر سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته
وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصله غيره وبرع في تفسير
القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال واطر وقاد الى مواضع الاشكال
عيال واستنبط منه اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه فقل من
يحفظ ما يحفظ من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل وفان الناس في

معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفناوي الصحابة والتابعين واتقن العربية
اصولاً وفروعاً ونظر في العقليات وعرف اقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه
على خطئهم وحذر منهم ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين وأوذى في
الله تعالى من المخالفين وأخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله تعالى مناره
وجمع قلوب اهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت اعداءه وهدى به رجالاً
كثراً من اهل الملل والنحل وجبل قلوب الملوك والامراء على الاتقياد له
غالباً وعلى طاعته واحيا به الشام بل الاسلام بعد ان كاد ينثلم خصوصاً في
كائنة التتار وهو اكبر من ان ينبه على سيرته مثلي فلو حلفت بين الركن
والمقام اني ما رأيت بعيني مثله وانه ما رأى هو مثل نفسه لما حدثت فانظر
الى ما قاله هذا الامام المنصف من انه من اعرف خلق الله بمذاهب اهل
الاهواء ووقت حدوثها وانه نصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين وانه
أوذى في الله تعالى ومن جملتهم هذا الرجل لأنه من المخالفين وأخيف في نصر السنة
حتى اعلا الله تعالى مناره وجمع قلوب اهل التقوى على محبته والدعاء له . وهذا
الرجل لو كان عند اهل العلم ممن يتقى الله لكاف من جملة اهل التقوى
المحبين له والداعين له وان الله كبت اعداءه وهدى به رجالاً كثيراً من اهل
الملل والنحل وان الله احيا به الشام بل الاسلام الى غير ذلك مما ذكر في
فضله، وهذا الرجل - عامله الله بعدله - يقول : « ولم ينكر ذلك احد من السلف
والخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك وعُدل عن الصراط المستقيم وابتدع
ما لم يقله عالم قبله » الى آخر كلامه وانما حمله على هذا الكلام الحسد والهوى
وعدم خشية الله والغلو الذي خرج به عن الصراط المستقيم وسلوك طريق ائمة
الدين من الصحابة والتابعين والائمة المهتدين الذين لهم قدم صدق في العالمين
فشيخ الاسلام هو الذي نصر الله به السنة وقمع به اهل البدعة فصاروا
يبدعتهم مستبشرين واعز الله به الاسلام بعد ان كاد ينثلم ، وقال الامام محمد
التافلاقي مفتي الحنفية بعد كلام له : وقد اثني عليه جمهور معاصريه وجمهور من

تأخر عنه وكانوا خير مناصريه وهم ثقات صيارفة حفاظ عريفهم في النقد دونه
عريف عكاظ وطعن فيه بعض معاصريه بسبب امور أساءها مشيع لحظ نفسه
او لاجل معاصرة التي لا ينجو من سمها الا من قد كمل في قدسه فخلف من
بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد ورماه بعظائم موجبة للتعزير والحد
ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الامام علي
ومعاوية فقال: تلك دماء طهر الله منها سيوفنا افلا نظهر منها السنن؟ ليجا من
هذا العنا وهذا الامام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى واطلوع عليها القاضي
والداني من علماء الورى فما وجدوا فيها عقيدة زائفة ولا عن الحق رأيه كم
سل السيوف الصوارم على فرق الضلال وكم رماهم بصواعق براهين محرقة
كالجبال تنادي بعقيدته البيضاء بعقيدة السلف ولا ينكر صحتها وفضليتها من
خلف مناه ومن سلف شهد له الاقران بالاجهاد ومن منع له فقد خرط
بكفه شوك القتاد ، وقال الامام الحافظ بن عبد الهادي في رده على السبكي لما
قال ان المبالغة في تعظيمه اي الرسول واجبة ، فقال : ان اريد به المبالغة بحسب
ما يراه كل احد تعظيما حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به واعتقاده
انه يعلم الغيب وانه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر
والنفع وانه يقضي حوائج السائلين ويفرج الكروب وانه يشفع فيمن يشاء
ويدخل الجنة من يشاء فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك
وانسلاخ من جملة الدين . انتهى . ولو ذهبنا نذكر ما ذكره العلماء في مناقبه
وفضائله وما ردوا به على مخالفيه في هذه المباحث لطال الكلام ، فاذا تحققت
ما ذكره اهل العلم في شيخ الاسلام تبين لك ان السبكي هو الذي خرج عن
الصراط المستقيم وخالف ما عليه الائمة من علماء المسلمين وانه هو الذي ابتدع
ما لم يقله عالم قبله فصار بأفترائه وعدوانه مثلة بين اهل الاسلام ممن له معرفة
بالعلوم ومدارك الاحكام فلا يلتفت الى مفترياته عاقل ولا ينظر في اساطيل
اساطيرها فاضل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

واما قوله : وروي الفشيري عن معروف الكرخي انه قال لتلامذته : اذا كانت لكم الى الله حاجة فاقسموا عليه بي فاني الواسطة بينكم وبينه وذلك بحكم الوراثة عن المصطفى ﷺ انتهى . فالجواب : ان هذا من الكذب المعلوم كذبه بالاضرار عند من له معرفة بالنقل ومقادير الأئمة الأخيار فان مثل هذه الحكاية الواهية الساقطة المنتنة المظلمة لا يتصور صدورها عن هو دون معروف الكرخي فضلاً عن ذلك الزاهد الفاضل الا من هو من ابعد الناس معرفة بحقيقة دين الاسلام فانه لا يقول هذا ويفتره على اهل الاسلام والعلماء العاملين إلا أمثال هؤلاء الغلاة المنحرفين الخياري المقتونين ، فنعوذ بالله من طمس القلوب ورين الذنوب ، ثم قال هذا الملحد ، وفي الفتوحات ما نصه مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ اذ هو قطب الاقطاب فهو بمد لجميع الناس أولاً وآخرآ فهو بمد كل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه بالغيب ومد ايضاً لكل ولي لا حق فيوصله بذلك الى مرتبة كماله في حال كونه موجوداً في عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلاً الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين فكل نبي تقدم زمان ظهوره فهو نائب عنه في بعثته لتلك الشريعة انتهى . والجواب : ان نقول : ما ذكره هذا الملحد من كلام صاحب الفتوحات كلام باطل فان مستمد جميع الأنبياء والمرسلين انما هو الوحي الذي نزل به الأمين من رب العالمين ، قال الله تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) وقال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (وما ارسلنا من رسول إلا نوحى اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى بن مريم البينات

وايدناه بروح القدس) وقال تعالى (قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) وقال تعالى (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة الآية) والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً فستجد جميع الأنبياء والرسل ما انزل الله عليهم من وحيه ، فقله ان مستند جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ مصادم ومناف لما تقدم من الآيات ولقوله تعالى (تلك من انبياء الغيب نوحيا اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) وقوله (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) وقوله (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) وهذا مبني على ان روح محمد ﷺ مخلوقة قبل جميع المخلوقات وقد تقدم بطلان هذا القول ومخالفته لصريح العقل والنقل في الكلام على ما نقله عن القسطلاني وما ذكره عن المناوي وان هذا القول مبتدع لم يقل به احد من الائمة المقتدي بهم بل هذا مبني على مذهب الفلاسفة القائلين بان الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في النفس بحيث يتوهمها اصواتاً تخاطبه وربما قوى الوهم حتى يراها اشكالاً نورانية تخاطبه وربما قوى ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمعارفات من العقول والنفوس المجردة وهذه الحقائق تحصل عندهم بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصرف على مذهب هؤلاء . فتبين من كلام هذا الملحد ان الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لم ينزل عليهم وحي من الله كما نزل به الروح الامين على قلب محمد ﷺ وانما ذلك فيض فاض على ارواح الانبياء من روح محمد ﷺ واستمدوا من روحه ما انزل الله عليهم وشرعه لهم من الدين ويزعمون ان الولاية اعظم من النبوة لان الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي الرسول بواسطة وينشدون : -

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون : ان ولاية النبي اعظم من نبوته ونبوته اعظم من رسالته ثم قد يدعي احدهم ان ولايته وولايته سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وان جميع الانبياء والرسل من حيث ولايتهم هي عندهم اعظم من نبوتهم ورسالتهم وانما يستفيدون العلم بالله الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من شكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في اصل ذلك ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول بواسطة ولهذا جعلوا ما يفيض في نفوسهم يجعلونه من باب المحاطبات الالهية والمكاشفات الربانية اعظم من تكليم موسى بن عمران وهو في الحقيقة إيماءات شيطانية ووساوس نفسانية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ، واما قوله وفي حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة . فان انوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين ، فالجواب : ان يقال : ان كان اراد انه ﷺ له قدرة على ايصال الخيوات ورفع المضرات بعد الممات فقد قال تعالى : (قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله) وقال تعالى (وان يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) فاذا كان هذا حاله في الحياة فما الظن به او بغيره بعد الممات ؟ وان كان اراد ان الخلق يستمدون منه اى مما جاء به من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه كائناً من كانت والعقل بسنته والاهتداء بهديه وترك ما نهى عنه فقد قال ﷺ في خطبته يوم عرفه (وقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله) الحديث . وقال ﷺ (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك) وقال ﷺ (انها ستكون فتناً) فقلنا له ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا يزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنه ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذا

سمعه حتى قالوا (انا سمعنا قرآنًا عجيباً يهدي الى الرشد فأمنّا به) (من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم . رواه الترمذي وقال غريب ، فاذا عرفت هذا فلا يكون الاستداد منه حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة ولكن بما ترك فينا من كتاب الله وسنة وسوله لان انوار رسالته ﷺ لا تنقطع ما عمل بالكتاب والسنة ، واما قوله فكل نبي تقدم على زمان ظهوره فهو نائب عنه في بعثته لتلك الشريعة ، فالجواب ان نقول : هذا كلام باطل مصادم لقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) ولقوله ﷺ نحن معشر الانبياء اولاد علات الحديث ، وقد قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ومن المعلوم بالضرورة ان الاغلال والآصار التي كانت عليهم وفي شريعتهم من قتل انفسهم وغير ذلك من الاغلال لم يكن موسى عليه السلام نائباً عن نبينا في بعثته لتلك الشريعة من التكاليف الشاقة من الآصار والاغلال التي كانت عليهم بل من بركة هذا النبي الكريم وان الله ارسله رحمة للعالمين وضع عنهم الآصار والاغلال التي كانت عليهم واحل لهم الطيبات مما حرم عليهم في التوراة من لحوم الابل والشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا ، فكان من المعلوم ان لكل رسول ارسله الله الى امته شريعة ومنهاجاً ، واما الاصل الذي هو دين الاسلام فجميع الرسل والانبياء فيه على طريقة واحدة كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) ولا حاجة بنا الى الكلام الى استقصاء الكلام على ما ذكره من كلام صاحب الفتوحات لسقوطه ونهافته ومخالفته لصريح الكتاب والسنة فلا نطيل برد كلامه لكن هذا على سبيل التنبيه والاشارة ثم كيف يستجيز من يؤمن بالله واليوم الآخر النقل في هذه

المباحث وغيرها عن ابن عربي صاحب الفصوص والفتوحات الذي هو من اكفر خلق الله وابعدهم عن سلوك الصراط المستقيم ويعد من العلماء العاملين واذا اردت حقيقة ما قلنا فانظر الى ما قلناه في الفصوص قال في الادريسة : ومن اسمائه الحسنى العلي على من وما ثم الى هو فهو العلي لذاته او عن ما ذا وما هو الا هو فعلمه لنفسه وهو من حيث الوجود على الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو ، الى ان قال : فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره ومن ثم من يبطن عنه فهو المظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى ابو سعيد الخزاز وغير ذلك من اسماء المحدثات ، الى ان قال : ومن عرف ما قررناه في الاعداد وان نفى عنها اثباتها علم ان الحق المنزه هو الخلق المشبه وان كان قد تميز الخلق من الخالق فالامر الخالق المخلوق والامر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العمون الكثيرة فانظر ماذا ترى قال يا ابي افعل ما تؤمر ، والولد عين ابيه فما راء بذبح سوى نفسه وفداه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة انسان فظهر بصورة لا يحكم ولد من هو عين الوالد وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه الى ان قال : فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق جميع الامور الوجودية والنسب العدمية بحيث لا يمكن ان يفوته نعت منها وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً او مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً وليس ذلك الا المسمى الله خاصة . فصرح عدو الله بان الحق المنزه هو الخلق المشبه وصرح بانه المنعوت بكل نعت مذموم ومحمود وصرح بانه ابو سعيد الخزاز وغيره من المحدثات كما صرح بان المسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو وقال ايضاً : ولما كان فرعون في منصب التحكم وانه الخليفة بالسيف وان جاز في العرف الناموسي لذلك قال انا ربكم الاعلى اى وان كان الكل ارباباً بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما اعطيته في المظاهر من التحكم فيهم ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لم ينكروه واقرروا له بذلك وقالوا له انما تقتضي هذه الحياة الدنيا فاقض ما انت قاض فالدولة لك فصيح قوله انا ربكم

الاعلى وان كان عين الحق الى امثال هذه الكفريات ، والله در الامير محمد بن اسماعيل حيث يقول : -

واكفر خلق الله من قال : انه ^{له} فان الله جل عن النـ
مسما كل الكائنات بأمرها من الكلب والخنزير والقرود والفهد
وأن عذاب النار عذب لأهلها سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وينشدنا عنه نصوص فصوصه ينادي خذوا في النظم مكنون ما عندي
وكنتم امراً من جند ابليس فارتمى بي الدهر حتى صار ابليس من جندي !!
فلو مات قبلي كنت ادركت بعده دقائق كفر ليس يدركها بعد
فمن كان بهذه المثابة كيف يستجيز من يؤمن بالله واليوم الآخر ان يذكر
كلامه في جملة العلماء العاملين أو يصفى إلى شبهات هؤلاء الغالين . وأما دعوى
هؤلاء الملاحدة ان خاتم الاولياء هو افضلهم كما ان خاتم الرسل افضلهم بل يزعم
ابن عربي ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الرسل لأن خاتم الاولياء يأخذ
عن الله بلا واسطة وخاتم الرسل إنما يأخذ عن الملك فقد ذكر شيخ الاسلام
ان خاتم الاولياء كلمة لا حقيقة لفضلها ومرتبها وانما تكلم ابو عبد الله الترمذي
بشيء من ذلك ولم يستند فيه الى شيء ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن يبقى
ويكون بذلك خاتم الاولياء وليس ذلك افضل الاولياء باتفاق المسلمين بل
أفضل الاولياء سابقهم واقربهم الى الرسول وهو ابو بكر ثم عمر اذ الاولياء
يستفيدون من الانبياء فأقربهم الى الرسول افضل بخلاف خاتم الرسل فان
الله اكرمه بالرسالة ولم يحله على غيره فقياس احد اللفظين على الآخر في وجوب
كونه افضل من افسد القياس ، وقال ايضاً :

فصل

وقد اتفق سلف الامة وأئمتها وسائر اولياء الله تعالى على ان الانبياء افضل
من الاولياء الذين لبسوا بأنبياء وقد رتب الله عباده السعداء المتعم عليهم
اربع مراتب فقال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) وفي الحديث (ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر) وافضل الامم امة محمد ﷺ قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) وقال تعالى (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في المسند (انتم توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله) وافضل امة محمد ﷺ القرن الاول وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه انه قال خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه وفي الصحيحين ايضا ﷺ انه قال (لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو اتفق احدكم مثل احد ذهب ما بلغ مد احدكم ولا نصيفه) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار افضل من سائر الصحابة قال تعالى (لا يستوي منكم من اتقى من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين اتفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه والسابقون الاولون الذين اتفقوا من قبل الفتح وقاتلوا) والمراد بالفتح صلح الحديبية فانه كان اول فتح مكة وفيه انزل الله (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالوا يا رسول الله او فتح هو ؟ قال نعم : وافضل السابقين الاولين الخلفاء الاربعة وافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بالاحسان وأئمة الامة وجاهيزها وقد دلت على ذلك دلائل بسطانها في منهاج اهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، وبالجملة اتفق طوائف السنة والشيعة على ان افضل هذه الامة بعد نبيها واحد من الخلفاء ولا يكون من بعد الصحابة افضل من الصحابة وافضل اولياء الله تعالى اعظمهم معرفة بما جاء به الرسول واتباعا له كالصحابة الذين هم اكمل الامة في معرفة دينه واتباعه و ابو بكر الصديق اكمل معرفة بما جاء به وعملا به فهو افضل اولياء الله اذا كانت امة محمد ﷺ افضل الامم رافضيا اصحاب محمد ﷺ وافضلهم ابو بكر رضي

الله عنه ، وقد ظن طائفة غالطة ان خاتم الاولياء افضل الاولياء قياسا على خاتم الانبياء ولم يتكلم احد من المشائخ المتقدمين بخاتم الاولياء الا محمد بن علي الحكيم التومذي ، فانه صنف مصنفاً غلط فيه في مواضع ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم انه خاتم الاولياء ومنهم من يدعي ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء من جهة العلم بالله وان الانبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب الفتوحات المكية وكتاب الفصوص فخالف الشرع والعقل مع مخالفته جميع انبياء الله تعالى واوليائه كما يقال لمن قال فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرأت وذلك ان الانبياء افضل في الزمان من اولياء هذه الامة والانبياء انما يستفيدون معرفة الله بمن يأتي بعدهم ويدعى انه خاتم الاولياء وليس آخر الاولياء وليس آخر الاولياء افضلهم كما ان آخر الانبياء افضلهم فان فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك كقوله ﷺ « انا سيد ولد آدم ولا فخرو » كقوله « آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فأقول محمد فيقول كما امرت ان لا افتح لاحد قبلك » وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الانبياء كلهم فكان أحقهم بقوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) الى غير ذلك من الدلائل كل منهم يأتيه الوحي من الله لا سيما محمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجاً الى غيره فلم تحتاج شريعته الى سابق ولا الى لاحق بخلاف المسيح اهلهم في اكثر الشريعة على التوراة وجاء المسيح فأكملها ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوات المتقدمة على المسيح كالتوراة والزبور وقام الاربعة وعشرين نبوة وكان الامم قبلنا محتاجين الى محدثين بخلاف امة محمد ﷺ فان الله اغناهم فلم يحتاجوا معه الى نبي ولا الى محدث بل جمع له من الفضائل والمعارف والاعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الانبياء فكان ما فضله به من بما انزله اليه وارسله اليه لا بتوسط بشر وهذا بخلاف الاولياء فان كل من بلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون ولياً لله الا باتباع محمد ﷺ وكلما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد

ﷺ وكذلك من بلغه رسالة رسول اليه لا يكون ولياً لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذي ارسل اليه ومن ادعى من الاولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من ان له طريقاً الى الله لا يحتاج فيه الى محمد فهذا كافر ملحد واذا قال انا محتاج الى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن او في علم الشريعة دون علم الحقيقة فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا ان محمد رسول الى الاميين دون اهل الكتاب فان اولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفاراً بذلك وكذلك الذي يقول ان محمد آبعث بعلم الظاهر دون علم الباطن الذي هو علم ايمان القلوب ومعارفها واحوالها هو علم بحقائق الايمان الباطنة وهذا شرف من العلم بمجرد اعمال الاسلام الظاهرة فاذا ادعى المدعى ان محمد ﷺ انما علم هذه الامور الظاهرة دون حقائق الايمان وانه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة فقد ادعى ان بعض الذي آمن به بما جاء به الرسول دون البعض الآخر وهذا ممن يقول أو من ببعض وأكفر ببعض ولا يدعي ان هذا البعض الذي آمن به ادنى القسمين وهؤلاء الملاحدة يدعون ان الولاية افضل من النبوة ويلبسون على الناس فيقولون ولايته افضل من نبوته ويستبدون :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي !
ويقولون : شاركناه في ولايته التي هي اعظم من رسالته وهذا من اعظم ضلالهم فان ولاية محمد لم يمثله فيها احد لا ابراهيم ولا موسى فضلاً ان يمثله فيها هؤلاء الملاحدون وكل رسول نبي ولي فالرسول نبي ولي ورسالته متضمنة لنبوته ونبوته متضمنة لولايته واذا قدرنا مجرد انبياء الله اياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع فانه حال انبائه اياه ممتنع ان يكون الاولياء لله ولا تكون مجردة عن ولايته ولو قدرت مجردة لم يكن احد مماثلاً للرسول في ولايته الى ان قال وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون حبرائيل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ والخيال تابع للعقل فجاء الملاحدة الذين سار كوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا انهم اولياء الله وان اولياء الله افضل من

انبياء الله وانهم يأخذون عن الله بلا واسطة كابن عربي صاحب الفتوحات
والقصص ، فقال : انه يأخذ من المعدن الذي اخذ منه الملك الذي يوحى به
الى الرسول والمعدن عنده هو العقل والملك هو الخيال والخيال تابع للعقل
وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو اصل الخيال والرسول يأخذ على الخيال فلهذا
صار عند نفسه فوق النبي ولو كان خاصة النبي ما ذكروه ولم يكن هو من
جنسه ، فضلا عن ان يكون فوقه فكيف وما ذكروه يحصل لآجاد المؤمنين
والنبوة امر وراء ذلك فان ابن عربي وامثاله وان ادعوا انهم من الصوفية فهم
من صوفية الملاحدة الفلاسفة ليسوا من صوفية اهل العلم فضلا عن ان يكونوا
من مشايخ اهل الكتاب والسنة كالفضيل بن عياض وابراهيم بن ادهم وابي
سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري
وامثالهم واذن الله تعالى عليهم أجمعين الى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

فصل

واما قول الملاحدة : ولذا أنشد القطب الكبير سيدي محمد بن ابي الحسن
البكري المصري : -

ما أرسل الرحمن أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها واصل لها	يعلم هذا كل من يعقل
فمذبه من كل ما تشكي	فهو شفيع دائما يقبل
ولذ به في كل ما ترنجي	فانه المأمّن والمعقل
وحط احوال الرجا عنده	فانه المرجع والموئل
وناده ان ازمة انشبت	أظفارها واستحك المعقل
يا اكرم الخلق على ربه	وخير من فيهم به يسأل

قد مسنى الكرب وكم مرة
فبالذي فضلك بين الورى
عجل باذهاب الذي اشتكى
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى
وان ترى اعجز مني فما
وانت باب الله اى امرى
عليك صلى الله ما صافحت
مسلماً ما فاح عطر الحمى
والآل والأصحاب ما غردت
والجواب ان اقول :-

اقول هذا كله لا يعقل
إلا اكاذيب رواها عصبه
بل كلها موضوعة مكذوبة
بل الذي في الشرع ان المصطفى
مختاره من خلقه وانه
وانه للناس فيما بينهم
واسطة بوجه يهديهم
فمن يقول انه اصل
لهذا الخلق طراً او له
من رحمة من ربنا سبحانه
إلا وهذا المصطفى اصل لها
فقد اتى بقرينة معلومة
فالتينا بآية من قال ذا
وقد أتى من بعد هذا كله
بانه معاد من يشكوه
او انه من غير اذن شافع

ولاله في الشرع أصل منزل
مرفوضة اقوالهم لا تنقل
والطعن فيها كلها مستعمل
محمدآ رسوله والافضل
الى جميع الخلق حقاً مرسل
وبين ربي بالهدى يفصل
بما به الله الكريم ينزل
لهذا الخلق طراً او له
في الملك والملكوت او ما يرسل
من كل ما يختص او ما يشل
بل ليس هذا في العقول يعقل
او سنة محفوظة لا تجهل
بنكر لا يرتضيه الكئيل
اف لما قد قاله ذا المبطل
فهو شافع سرمدياً يقبل

وانه الملاذ فيما يرتجى وانه الكهف المنيع المعقل
وانه محط احمال الرجا لانه الرجعي له والموئل
وان ينادي ان المت ازمة وانسبت اظفارها لا تمهل
فهذا كله شرك به سبحانه عما يقول المبطل
فهو المنادي وحده سبحانه وهو الملاذ المرتجى والموئل
وهو المعاذ وحده ان ازمة أو كربة تعدو لنا او تنزل
لا عبده المعصوم فهو المجتبي وهو المطاع امره لا يهمل
اكننا لا ندع الا ربنا في كل ما نوجه وما نأمل
ما مس عبد كربة أو نابه من نائبات الدهر بما يعضل
إلا وربى فراج لها لا عبده ان كنت ممن يعقل
تالله ما هذا بقول يرتضى في المصطفى مما يقول المبطل
فالمشتكى لله لا للمصطفى وهو الذي ان لم يجب من نسال
وهو الذي ان لم يعنا لم نطق حملا لعجزان دها ما يشغل
وهو الذي لا رب حق غيره وهو الرجا والملتجا والموئل
هذا الذي قالته وهابية والحق ما قالوه وهو الاكمل
وهو الصواب حقيقة اذ كله حق وتحقيق وامر يعقل
لا ما ادعاه الكسم او قاله من قد دعوه القلب وهو الارذل
تالله ما هذا بقطب الورى في دينهم بل كان ممن يجهل
بل كان قطب الكفر والشرك الذي اغوى به الشيطان من لا يعقل
فانبذه خلف الظهر لا تعباً بما قد قاله هذا الغوى المبطل

فصل

قال المالحد : وفي الشفا للقاضي عياض قال : ناخر ابو جعفر امير المؤمنين
مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان
الله ادب قوماً فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية ومدح قوماً

فقال (ان الذين يفضون أصواتهم) الآية وذم قوماً فقال (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآية وحرمة ميتاً كحرمة حياً ، فاستكاث لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبد الله استقبل القبلة وادعوا أم استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله وفي نسخة فيشفعه الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية ، انتهى . والجواب ان يقال هذه الحكاية لا حجة فيها لمبطل لما سنده ان شاء الله تعالى ، قال الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في الصارم المنكي قلت المعروف عن مالك انه لا يستقبل القبر عند الدعاء ، وهذه الحكاية الذي ذكرها القاضي عياض ورواها باسناداه عن مالك ليست بصحيحة عنه وقد ذكر . المعارض في موضع من كتابه ان اسنادها اسناد جيد وهو مخطيء في هذا القول خطأ فاحشاً بل اسنادها اسناد ليس بجيد بل هو اسناد مظلم منقطع وهو مشتمل على من يتهم بالكذب وعلى من يجهل حاله وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته ولم يسمع من مالك شيئاً ولم يلقه بل روايته عنه منقطعة غير متصلة وقد ظن المعارض انه أبو سفيان محمد بن حميد المعمرى أحد الثقات المخرج لهم في صحيح مسلم قال فان الخطيب ذكره في الرواة عن مالك وقد اخطأ فيما ظنه خطأ فاحشاً وهم وهماً قبيحاً الى ان قال : وأما محمد بن حميد الرازي فانه في طبقة الرواة عن المعمرى كابي حنيفة وابن غير وعمر والناقد وغيرهم الى أن قال : وقد تكلم في محمد بن حميد الرازي وهو الذي رويت عنه هذه الحكاية من غير واحد من الائمة ونسبه بعضهم الى الكذب . قال يعقوب بن شعبة السدوسي محمد بن حميد الرازي كثير المناكير وقال البخاري حديثه فيه نظر وقال النسائي ليس بثقة وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني ردي المذهب غير ثقة وقال فضلك الرازي عندي عن ابن حميد خمسون الف حديث لا احدث عنه بحرف وقال أبو العباس أحمد ابن محمد الأزهرى سمعت اسحاق بن منصور يقول : أشهد على محمد بن حميد

وعبيد بن اسحاق العطار بين يدي الله انها كذابان وقال صالح بن محمد الحافظ
كان علي ما بلغه من حديث سفيان يحيله على مهران وما بلغه من حديث
منصور يحيله على عمرو بن قيس وما بلغه من حديث الاعمش يحيله على مثل
هؤلاء وعلى عنبة ، ثم قال : كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنا نتهبه فيه
وقال في موضع آخر كانت احاديثه تزيد وما رأيت أحداً أجرى على الله منه
كان يأخذ احاديث الناس فيقلب بعضهم على بعض وقال في موضع آخر :
ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد
الرازي كان يحفظ حديثه كله وكان حديثه كل يوم يزيد ثم أطال الحافظ
الكلام فيه الى ان قال : فاذا كانت هذه حال محمد بن حميد الرازي عند ائمة
هذا الشأن فكيف يقال في حكاية رواتها منقطعة اسنادها جيد مع أن في طريقها
اليه من ليس بمعروف ، الى ان قال : فانظر هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها
ونكارتها وجهالة بعض رواتها ونسبة بعضهم الى الكذب ومخالفتها لما ثبت عن
مالك وغيره من العلماء وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في
« اقتضاء الصراط المستقيم » في مخالفة اصحاب الجحيم : ولم يكن احد من
السلف يأتي الى قبر نبي او غير نبي لاجل الدعاء عنده ولا كان الصحابة يقصدون
الدعاء عند قبر النبي ﷺ ولا عند قبر غيره من الانبياء وانما كانوا يصلون
ويسلمون على النبي ﷺ وعلى صاحبيه واتفق الائمة على انه اذا دعا بمسجد النبي
ﷺ لا يستقبل قبره وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك واحمد وغيرهما :
يستقبل قبره ويسلم عليه ، وهو الذي ذكره اصحاب الشافعي واظنه منصوصاً
عنه ، وقال ابو حنيفة بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب اصحابه ،
وقال مالك : فيما ذكره اسماعيل بن اسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهم
لا أرى ان يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو ولكن يسلم ويمضي ، وقال ايضاً
في المبسوط : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج ان يقف على قبر النبي ﷺ
ويدعو له ولأبي بكر وعمر ، قيل له فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من
سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة

أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر يسمون ويدعون ساعة فقال :
 لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه
 الأئمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأئمة وصدرها أنهم كانوا
 يفعلون ذلك ويكرهه إلا لمن جاء من سفر أو أرادته وقد تقدم في ذلك من
 الآثار عن السلف والأئمة ما يوافق هذا ويؤيده من أنهم كانوا إنما يستجيبون
 عند قبره ما هو من جنس الدعاء له والتحية كالصلاة والسلام ويكرهون
 قصده للدعاء والوقوف عنده للدعاء من يرخص منهم في شيء من ذلك فإنه إنما
 يرخص فيما إذا سلم عليه ثم أراد الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة أما مستدير
 القبر وأما منحرفاً عنه وهو أن يستقبل القبلة ويدعو ولا يدعو مستقبل القبر
 وهكذا المنقول عن سائر الأئمة ليس في أئمة المسلمين من استجب المرء أن
 يستقبل قبر النبي ويدعو عنده وهذا الذي ذكرناه عن مالك يبين حقيقة
 الحكاية المأثورة عنه وهي الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد
 قال ناضر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ قال له
 مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى ادب قوماً
 فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية وذكر باقي الحكاية ثم
 قال فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو مغيرة وإما أن
 تفسر بما يوافق مذهبه إذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل
 الثقات من أصحابه فإنه لا يختلف مذهبه أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء وقد
 نص على أنه لا يقف عند الدعاء مطلقاً وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنو من
 القبر ويسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة ويولي ظهره وقيل فاتفقوا في
 استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء وبشبه والله أعلم أن
 يكون مالك رحمه الله سأل عن استقبال القبر عند السلام عليه وهو يسمى
 ذلك دعاء فإنه قد كان من فقهاء العراقيين يرى أنه عند السلام عليه يستقبل
 القبلة أيضاً ومالك يرى استقبال القبر في هذا الحال كما تقدم وكما قال في رواية

وهب عنه اذا سلم على النبي ﷺ يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده وقد تقدم قوله انه يصلي عليه ويدعوه له ومعلوم ان الصلاة عليه والدعاء له توجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال في الحديث الصحيح (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم اسألوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وارجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة) فقول مالك في هذه الحكاية ان كانت ثابتاً عنه معناه انك اذا استقبلته وصليت عليه وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الامم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعله ما يشفع به له يوم القيامة . كسؤال الله تعالى له بالوسيلة ونحو ذلك وكذلك ما نقل عنه من رواية ابن وهب اذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدعو ويسلم يعني دعاء للنبي ﷺ وصاحبيه فهذا هو الدعاء المشروع هناك كاللداء عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم فانه احق الناس ان يصلي عليه ويسلم عليه ويدعى له بأبي هو وأمي ﷺ وبهذا تتفق أقوال مالك ويفرق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر انه بدعة ، وأما الحكاية في تلاوة مالك (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) الآية فهو والله اعلم باطل فان هذا لم يذكره احد من الائمة فيما اعلم ولم يذكر احد منهم أنه استحب أن يسأل بعد الموت لا استغلاً ولا غيره وكلامه المنصوص عنه وأمثاله ينافي هذا . انتهى . وقد تقدم الجواب على هذه الآية . واما قول هذا الملقب : والمراد من قوله وحرمة ميتاً أي حال انتقاله الى البرزخ فلا ينافي ما تقدم انه حي في قبره ﷺ ، والجواب ان يقال : ليس هذا مراد مالك رحمه الله فانه امام عالم عربي فقيه ومن اعلم أهل زمانه بالحديث ومعانيه فانه حال حكايته مع المنصور لو ثبت لا يخاطب المنصور بحال انتقاله الى البرزخ بأنه ميت وانما يخاطبه حال الحكاية معه وقت المناظرة بعد وفاته بزمان طويل ان حرمة ميتاً في هذا الوقت أي

وقت المناظرة كحرمته في حال الحياة في غض الصوت عنده وعدم رفعه فما
قاله مالك رحمه الله بنا في ما تقدم من الحكايات الموضوعة والاحاديث المكذوبة
وما كان منها ضعيفاً فوُلف بحرف من تحريفات هؤلاء الغلاة المارقين . واما
حكايته عن شارح (نور الايضاح) فككلام غيره من المصنفين في الزيارة ممن
لا يوثق به ولا يعتمد على قوله ونقله ، وليسوا من اهل الحديث المعروفين
بالرواية والدراية والامانة وفيما نقلنا عن مالك وأصحابه وأبي حنيفة وأصحابه
واحمد وأصحابه والشافعي وأصحابه ما يكفي ويشفي عن كلام هؤلاء وليس
المراد بأصحاب الاثمة من نهجوا منهمجهم واخذوا بمذهبهم وكانوا على طريقتهم
في الاقوال والافعال والآخذ من الاصول المنقولة المأثورة عن الصحابة رضي
الله عنهم أجمعين .

فصل

قال الملحد : وفي الايضاح للنووي المؤلف في مناسك الحج على مذهب
الامام الشافعي رحمه الله تعالى ما نصه : ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا
عن العتي مستحبين له ، قال كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي ،
فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول (ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم
جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد
جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك الى ربي ثم انشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والا كم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
انت الشفيع الذي ترجي شفاعته على الصراط اذا ما زلت القدم
وصاحبك فلا انساهما ابداً مني السلام عليكم ما جرى القلم
قال ثم انصرف فغلبتني عيناى فرأيت رسول الله ﷺ في النوم ، فقال يا
عتي الحق الاعرابي وبشره بان الله قد غفر له . انتهى : والجواب ان يقال :
هذه الحكاية على تسليم صحتها ليس فيها دليل شرعي يجب المصير اليه عند اهل

العلم والایمان فقد ذكر العلماء الادلة الشرعية وحصرها وليس احد منهم استدل على الاحكام برويا آحاد الامة لا سيما اذا تجردت عما يعضدها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله : وهذه القصة ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء ولم يذكرها غيرهم ممن يعتمد به ويقتدى به كالائمة المتبوعين واكابر اصحابهم واهل الوجوه في مذاهبهم كاشهب وابن القاسم وسحنون وابن وهب وعبد الملك وابنه والقاضي اسماعيل من المالكية ولا من الشافعية كالزني والبويطي وابن عبد الحكم ومن بعدهم كابن خزيمة وابن مريج وامثالهم ونظرانهم من اهل الوجوه وكأني يوسف من اصحاب ابي حنيفة ومحمد بن الحسن اللواتي وزفر بن الهذيل ومن بعدهم كالطحاوي حامل لواء المذهب وكذلك اصحاب احمد واصحاب الوجوه في مذهبه لم يذكرها احد منهم كعبد الله وصالح والحلال والاثرم وابي بكر عبد العزيز والمروذي وابي الخطاب ومن بعدهم كابن عقيل وابن بطه ، وبعض من ذكر هذه الحكاية يرونها بلا اسناد وبعضها عن محمد بن حرب الهلالي وبعضهم يرونها عن محمد بن حرب عن ابي الحسن الزعفراني عن الاعرابي ، وقد ذكرها البيهقي باسناد مظلم عن محمد بن الروح بن يزيد البصري حدثني ابو حرب الهلالي قال : حج اعرابي فذكر نحو ما تقدم ووضع لها بعض الكذابين اسناداً الى علي ابن ابي طالب كما روى ابو الحسن علي بن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي ، حدثنا احمد بن محمد بن الهيثم الطائي ، قال حدثنا ابي عن ابيه سلمة بن كهيل عن ابي صادق عن علي بن ابي طالب ، فذكر نحو ما تقدم قال الحافظ بن عبد الهادي : هذا الخبر منكر موضوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير اليه واسناده ظلمات بعضها فوق بعض ، والهيثم جد احمد بن محمد بن الهيثم اظنه بن عدي الطائي فان لم يكن هو فهو كذاب ، متروك وإلا فجهول وقال ابن عباس الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب ، وقال العجلي : وابو دواد كذاب وقال ابو حاتم الرازي النسائي الدولابي والازدي

متروك الحديث ، وقال السعدي ساقط قد كشف قناعه ، وقال ابو زرعة ليس بشيء ، وقال ابن عدي ما اقل ما له من المسند وانما هو صاحب اخبار واسمار ونسب وأشعار ، وقال الحكم ابو عبدالله الهيثم بن عدي الطائي في علمه وحله حدث عن جماعة من الثقة احاديثه منكورة ، وقال العباس بن محمد سمعت بعض اصحابنا يقول : قالت جارية الهيثم كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فاذا اصبح جلس يكذب ، فاذا كانت هذه الحكاية عند أهل العلم بهذه المثابة لم تثبت بسند يعول عليه ويحتج به ، قال الشيخ : ولو سلمنا ثبوت هذه الحكاية فلا دليل فيها على ما ذهب اليه هذا الاحق من تجويز دعاء الانبياء والصالحين وطلب الخوائج منهم والاعراب لا يحتج بافعالهم ويجعلها دليلاً شرعياً إلا مصاب في عقله مفلس في فهمه وعلمه وكذلك نقل العتيبي ومن مضى من رجال سندها ليسوا بشيء وقد تقدم ان أدلة الاحكام هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس المعتبر فيه خلاف وغير ذلك ليس من الأدلة في شيء ولم يأت عن احد من الائمة من عهد الصحابة الى آخر القرون المفضلة في هذا الباب ما يثبت لا طلب الاستغفار ولا غيره ، وقد تقدم عن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى انه حكي الاجماع على منعه ، ولو فرض ان هذا الاعرابي قد غفر له فذلك ايضاً لا يدل على حسن حاله واسباب الكائنات لا يحصيها إلا الله تعالى ، وقد يستجاب لعباد الاصنام استدراجاً كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » ثم ليس في الحكاية انه سأل الرسول شيئاً فايته انه توسل به ومسألة التوسل بذاته ﷺ غير مسألة دعائه والاستغاثة به والطلب منه وقد قال تعالى (ومن يغفر الذنوب الا الله) فاذا كان هذا المختص بمغفرة الذنوب فكيف تطلب المغفرة من غيره تعالى وتقدس ، وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بما اغنى عن اعادته هنا ، وأما ما ذكره في (المستوعب) لأبي عبدالله السامري الحنبلي وفيه « اللهم انك قلت في كتابك لنبيك عليه السلام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية » فنقول هذا من نط ما قبله وقد تقدم الكلام عليه ، ثم قال

الملحد : وسأل العلامة الشهاب الرملي عن ما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد : يا شيخ فلان ونحو ذلك ، فأجاب : بأن الاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء والعلماء والصالحين جائزة وللرسل والانبياء والاولياء اغاثة بعد موتهم لان معجزة الانبياء وكرامة الاولياء لا تنقطع ، انتهى . فالجواب ان يقال : قد تقدم ان الاستغاثة هي طلب العون وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستغاثة طلب العون وذكرنا فيما تقدم كلام ابي عبد الله القرشي احد مشايخ الطريقة انه قال استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق ، وعن ذالنون استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون ، وقال شيخ الاسلام رحمه الله في الرسالة السنية : فاذا كان على عهد رسول الله ﷺ من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضاً من الاسلام لأسباب منها الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرتي أو أغثني وارزقني أو انا في حسبك ونحو هذه الاقوال ، فهذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل ، فان الله سبحانه وتعالى انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ولا يدعي معه إله والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلاق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون انما نعبدكم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله سبحانه رسله تنهى ان يدعي احد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة انتهى . وقال ايضاً من جعل بينه وبين الله وسائط يدعونه ويتوكل عليهم ويسألهم كفر وإجماعاً نقله عن صاحب الفروع وصاحب الانصاف وصاحب الاقناع . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن انواعه - يعني الشرك - طلب الحوائج من الموتي والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم

فان الميت قد انتقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا لمن استغاث به او سأل ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده وقد تقدم بتمامه وبالمجمل فضابط هذا ان كل ما شرعه الله لعباده وامرهم به ففعله الله عبادة فاذا صرف العبد من تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله (قل الله اعبد مخلصا له ديني) . فساذا عرفت هذا فهذا الرجل المسمى الشهاب الرملي ان كان من المعروفين بالعلم لأنني لا أعرف ما حاله فهو من جنس السبكي واضرا به الغالين الذين يصفنون في اباحة الشرك وجوازه زاعمين ان ذلك من تعظيم الرسول وتعظيم الانبياء والاولياء وذلك لجهلهم وعدم ادراكهم لحقائق الدين ومدارك الاحكام وليس لهم قدم صدق في العالمين ولا كانوا من العلماء العاملين فلا حجة في اقوالهم (ومن لم يجعل الله له نورا فانه من نور) ثم لو كان الشهاب الرملي من أهل الفضل والعلم والعبادة واكابر أهل الفقه والورع والزهادة لكان قد اخطأ فيما قاله واراده ودعا الى عبادة غير الله وهذا يوجب كفره وارتياده، واما معجزات الانبياء وكرامة الاولياء فهي لا تدل على دعائهم ولا الاستغاثة بهم وصرف خالص حق الله لهم وانما تدل على علو درجاتهم وكرامتهم على الله وقربهم منه ، وقد قال ﷺ لما طلب الصحابة رضي الله عنهم من النبي ان يغيشهم من المذاق الذي آذاهم : انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل ، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وهؤلاء الغلاة لا يأترون بما امر الله به ورسوله ولا ينتهون عما نهى الله عنه ورسوله فالله المستعان .

فصل

قال الملحد : وروي عن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه قال : اللهم انما نستسقيك بعم نبيك ﷺ ونستشفع اليك بشيبتة فسقوا وفي ذلك يقول عباس

ابن عتبة ابن ابي لهب : -

بعمى سقا الله الحجاز واهله عشية يستسقى بشيئته عمر
والجواب ان يقال : هذا الحديث الذي ذكره عن ابن عباس لم يذكره
بأسناده ولم يعزه الى شيء من الكتب المعتمدة وفيه الفاظ مخالفة للاخبار
الصحيحة فلا اعتماد على ما ذكره والمخفوض المعتمد عليه ما ذكره البخاري في
صحيحه عن أنس ان عمر استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، وقال : اللهم انا
كنا إذا أجد بنا نتوسل اليك بنينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا
فيسقون ، قلت : وقد ورد في بعض الالفاظ : قم يا عباس فادع الله فاستسقوا
به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته وهو انهم يتوسلون بدعائه وشفاعته
فيدعو ويدعون معه كالامام والمؤمنين من غير ان يكونوا يقسمون على الله
بمخلوق كما ليس لهم ان يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات ﷺ توسلوا
بدعاء العباس واستسقوا به ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء باهل الخير
والدين والافضل ان يكونوا من اهل بيت النبي ﷺ وقد استسقى معاوية
بيزيد بن الاسود الجرشي ، وقال اللهم انا نستسقي بيزيد بن الاسود : يا يزيد
ارفع يدك فرقع يديه ودعا ودعا الناس حتى امطروا وذهب الناس ولم يذهب
احد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به ، واما قوله :
وفي رواية للزبير بن بكار ان العباس رضي الله عنه قال في دعائه : وقد توجه بي
القوم اليك لمكاني من نبيك ﷺ فأسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى
اخضبت الارض . انتهى . فأقول : قال الحافظ في الفتح : وقد بين الزبير بن
بكار في الانساب صفة ما دعا به العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم انه لم
ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه القوم بي اليك لمكاني
من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت
السماء مثل الجبال حتى اخضبت الارض وعاش الناس ، وقد اسقط هذا الملاحد
من هذا الاثر قوله : اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة
لعله انه يعود على مقصوده بالهدم وذلك انهم انما سئلوا به ليدعو لهم فاستكان

الله تعالى بالاعتراف وبالذنب وانهم قد اتوه تائبين منيبين ، وكذلك اسقط منه قوله : ونواصينا اليك بالتوبة ، وهذا توسل منه بهذا العمل الصالح وهو التوبة وعلى تقدير صحة هذا الاثر فلا دليل فيه على ما يتوهمه فان توسلهم بالعباس بدعاء حي يقدر على الدعاء وهذا لا محذور فيه وقد فعله اصحاب رسول الله ﷺ . وانما المحذور المنهي عنه دعاء الاموات والتوجه بهم والتوسل بهم وهذا لم ينقل عن احد من الصحابة ولا التابعين ولا الائمة المهديين والعلماء والراسخين ، واما قوله : وفي هذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً سواء كان في الاحياء وبالاموات وقول من منع ذلك بغير النبي ﷺ لان فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله ﷺ : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، رواه الامام احمد والترمذي .

فالجواب على هذا من وجوه الاول : أن في سنده خارجة بن عبد الله الانصاري وهو ضعيف ضعفه احمد ، الثاني : ان عمر استسقى بدعاء حي حاضر يقدر على الدعاء وليس في هذا ما يدل على الاستسقاء بالاموات ولو كان هذا جائزاً لما عدل الفاروق عن الاستسقاء بالنبي ﷺ الى الاستسقاء بالعباس الحي فالقياس باطل والتوهم تحكم ، الثالث : ان جعل الحق على لسان عمر وقلبه لا يستلزم كون فعله رضي الله عنه حجة ومن يدعيه فعليه البيان خصوصاً إذا خالفه غيره من الصحابة ، الرابع : ان المقصود ان الله تعالى اجرى الحق على لسان عمر رضي الله عنه في وقائع كما قال ابن عمر راوي الحديث ما نزل بالناس امر قط ، فقالوا فيه وقال فيه عمر الا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر ويقويه الحديث المتفق عليه عن انس وابن عمر ان قال عمر : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى ؟ فنزلت « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو امرتهم بمحجبن فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت (عسى ربه ان يطلقكن ان يبده أزواجاً خيراً منكن) ونزلت كذلك إلى غير ذلك من الامور التي وافق فيها عمر كقصة أسارى بدر وقصة الصلاة

على المنافقين ، وجملة القول ان هذا الحديث على تقدير ثبوته ليس معناه الا ما روى في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لقد كان فيمن قبلكم محدثون فان يكن في امتي أحد فانه عمرو) المحدث الملهم وقيل الرجل الصادق الظن وهو من القى في روعه شيء من قبل الملائكة الا على فيكون كالذي حدثه غيره به وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد وقيل المكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة وقيل الملهم بالصواب الذي يلقي على فيه وعلى كل تقدير لا يحكم بما وقع له يحدث بل لا بد له من عرضه على الكتاب والسنة ومن ثم اجمع اهل السنة على ان الهام غير النبي ﷺ ليس بحجة وعلى هذا المعنى ينبغي ان يحمل حديث ابن عمر المذكور وليس الغرض ان الله جعل الحق في كل حادثة وواقعة على لسان عمر وقلبه وان فعله وقوله حجة شرعية وانه لا يقع منه خطأ قط وإلا لما خالفه ونازعه احد من الصحابة والتابعين من بعدهم من اهل الحديث والفقه والثاني باطل فان مخالقات الصحابة لعمر رضي الله عنه اكثر من ان يكتب في هذا المختصر وأشهر من أن يخفي على من له امام بكتب الحديث والاثار ثم كيف يصح القول بحجية فعل عمر رضي الله عنه عموماً كما زعم هذا المؤلف فقد اخطأ عمر رضي الله عنه في مسائل منها عدم جواز التيمم عنده لمن أجنب فلم يجد الماء ومنها عدم جواز التمسع في الحج عنده ومنها قوله : ان المعتدة الثلاث السكينة والنفقة الى غير ذلك من الامور التي اخطأ فيها ومرجع فيها الى الصواب ، وكان الصديق رضي الله عنه يقوم في أشياء كثيرة كما قومه يوم صلح الحديبية ويوم موت النبي ﷺ بل كان آحاد الناس يبين له الصواب فيرجع الى قوله كما راجعته امرأة في قوله « لئن بلغني ان احداً زاد صداقه على صداق ازواج النبي ﷺ وبناته الارددت الفضل في بيت المال » فقالت له امرأة : لم تحرمنا شيئاً أعطانا الله إياه ؟ وقرأت قوله تعالى (وآتيتن احداهن قنطاراً) فرجع الى قولها وقال في لفظ آخر : الله اكبر أصابت امرأة وأخطأ عمر ، وأمثال هذا كثير ، اذا عرفت هذا فليس في قوله ﷺ : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه حجة على جواز

التوسل بالنبي والاستغاثة به بعد موته ﷺ ولا بأحد من الاموات والغائبين
لا من الانبياء والاولياء ولا غيرهم من الصالحين غاية ما فيه ان الله جعل الحق
على لسان عمر وقلبه ومن ذلك انه عدل عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته الى
التوسل بدعاء العباس وهذا من الحق الذي جعل الله على لسان عمر وقلبه ،
وسياقي إيضاح هذا فيما بعد عن قريب إن شاء الله تعالى ، واما قول الملحد :
ولا يقال فيه دليل على امتناع التوسل بالنبي ﷺ بحد انتقاله لأن التوسل
والاستسقاء بالنبي ﷺ كان معلوماً عندهم كما تقدم في القصة التي رواها ابن
حنيف وكما في توسل آدم في الحديث المتقدم الذي رواه عمر رضي الله عنه وانما
فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم ان الاستسقاء بغير النبي ﷺ لا يجوز ، فالجواب
ان نقول : قد تقدم الجواب عن هذا وانه لم يكن يفعله أحد من الصحابة ولا
التابعين ولا من بعدهم من الائمة المقلدين ولذلك عدل عمر رضي الله عنه عن
التوسل به ﷺ الى التوسل بالعباس وقد اُهم الصواب لأن الله جعل الحق على
لسانه وقلبه ، واما حديث الاعمى فليس فيه ما يدل على غيبته ﷺ وهو
توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء
وهذا كان هديهم وفعلهم في حياته ﷺ كما تقدم وأما بعد وفاته فلم يفعله احد
من الصحابة رضي الله عنهم ، واما الذي حدثه عثمان بن حنيف فلم يخاطبه ولم
يثبت ذلك في حديث الاعمى أعني مخاطبته ﷺ والذي رواه من أهل السنن
المعتبرة لم يثبت مخاطبة الرسول بل هي ساقطة في الأصول المحررة ومسألة
السؤال به أو بحقه غير مسألة نفسه ودعائه ، وأما الحديث الذي عزاه لعمر بن
الخطاب بتوسل آدم بجاه محمد فهو حديث موضوع مكذوب باتفاق اهل العلم
بالحديث ، وأما قوله وانما فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم ان الاستسقاء بغير
النبي ﷺ لا يجوز .

فالجواب ان يقال قد ثبت في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس رضي الله عنه
قال : اللهم انا كنا نتوس اليك بنبيك ﷺ فتسقينا وانا نتوس اليك بعم

نبينا فاسقنا فيسقون فانه لو كان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله من هذه الدار جائز لما عدلوا الى غيره بل كانوا يقولون : اللهم انا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا وحاسا هم ان يعدلوا عن التوسل بسيد الناس الى التوسل بعمه العباس وهم يجدون ادنى مساع لذللك فعدوهم هذا مع انهم السابقون الاولون وهم اعلم منا بالله تعالى ورسوله ﷺ بحقوق الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع وهم في وقت ضرورة ومخضة يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير وانزال الغيث بكل طريق دليل واضح على ان المشروع ما سلكوه دون غيره ، واما قوله وانما فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم ان الاستسقاء بغير النبي لا يجوز ، فاقول فيه كلام من وجوه الاول : ان المراد بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث انس رضي الله عنه هو الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة في الشرع وهي ان يخرج من يستسقي به الى المصلي فيستسقي ويستقبل القبلة داعياً ويجوّل رداءه ويصلي ركعتين او نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح ، والدليل عليه قول عمر رضي الله عنه : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، ففي هذا القول دلالة واضحة على ان التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي ﷺ والتوسل بالنبي ﷺ لم يكن الا بأن يخرج ويستقبل القبلة ويجوّل رداءه ويصلي ركعتين أو نحوه من الهيئات الثابتة في الاستسقاء ولم يرد في حديث ضعيف فضلاً عن الحسن والصحيح ان الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به ﷺ من غير ان يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا والدعاء والصلاة وغيرها مما ثبت بالاحاديث الصحيحة ومن يدعى وروده فعلية الاثبات . اذا تمهد هذا فاعلم ان الاستسقاء والتوسل على الهيئة التي وردت في الصحاح من الاستسقاء لا يمكن إلا بالحي لا بالميت فالقول بإمكان هذا الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته من ابطال الباطل وكان القول بانه لو استسقى بالنبي ﷺ لو بما يفهم منه بعض الناس أو يتوهم انه لا يجوز الاستسقاء بغيره بديهي البطلان فان ما ثبت

بفعله ﷺ هو مشروع لنا لقوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقوله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » ما لم يدل دليل على كونه مخصوصاً بالنبي ﷺ فلا مجال لهذا التوهم حتى يحتاج الى دفعه ، والثاني : أن المقصود لو كان دفع التوهم المذكور لكان أولى بأن يتوسل بحج غير النبي ﷺ في حياته أو بميت غير النبي ﷺ بعد وفاته أو بميت غير النبي ﷺ في حياته فإن هذه الصور الثلاث أبعد من أن يبدو فيها الاحتمال الآتي من أنه إنما استسقى بالعباس لأنه حي والنبي ﷺ قد مات وإن الاستسقاء بغير الحي لا يجوز فلما ترك عمر رضي الله عنه تلك الصور واختار الصورة التي يتأتى فيها الاحتمال المذكور دل هذا الضنيع على أن مقصوده رضي الله عنه ليس دفع التوهم المذكور ، الثالث : أن توهم عدم جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ اخف من توهم عدم جواز الاستسقاء بالميت لا سيما إذا كان ذلك الميت غير النبي ﷺ فكان هذا التوهم أولى بالدفع ، فكان الأنسب حينئذ أن يستسقى بميت غير النبي ﷺ . الرابع : أن هذا التعليل فاسد لأن المعلل لم يقم عليه برهان ولا دليل . فلا يصغي اليه .

فصل

قال الملحد : وقد ذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب الامام ابي حنيفة في الفصل الخامس والعشرين أن الامام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام ابي حنيفة رضي الله عنه يجيء الى خريجه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى في قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام احمد بالشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن .

والجواب ان يقال لهذا الجاهل البليد كيف يثبت دين الله تعالى بمثل هذه الاقوال الكاسدة والشبه المعتلة الفاسدة . أیظن ان كل احد يروج عليه الباطل ويشتهه عليه العاقل ؟ كلا فان الله رجلا ينفون عن دينه زريغ المبطلين

وتحريف الملحدين . ثم ان هذه الحكاية من الكذب المعلوم كذبه بالاضطرار
عند من له معرفة بالنقل والآثار فان الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد
قبر ينتاب للدعاء عنده البتة بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفاً وقد
رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الانبياء
والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين افضل من ابي حنيفة
وامثاله من العلماء فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده ، ثم ان اصحاب ابي حنيفة
الذين ادر كوه مثل ابي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم
لم يكونوا يتعرون الدعاء عند قبر ابي حنيفة ولا غيره ، ثم أن الشافعي قد
صرح في بعض كتبه بكرامة تعظيم قبور الخلقين خشية الفتنة بها وانما يصنع
هذه الحكايات من نقل علمه ودينه وأما أن يكون المنقول من هذه الحكايات
عن مجهول لا يعرف ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسببة احاديث
عن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت فكيف بالمنقول عن غيره
ثم هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز لإثبات الشرع به أو قياس لا يجوز
استصحاب العبادات بمثله مع العلم بان الرسول لم يشرعها وتركه مع قيام
المقتضي بمنزلة فعله وانما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير
نقل عن الانبياء النصاري وامثالهم وانما المتبع في إثبات احكام الله وسنة
رسوله ﷺ وسبيل السابقين الاولين لا يجوز لإثبات حكم شرعي بدون هذه
الاصول الثلاثة نصاً واستنباطاً بحال ، واما قوله : وقد تثبت توسل الامام
أحمد بالشافعي فهو من نط ما قبله بما يعلم كل عاقل بالضرورة انه من الكذب
بل لا بد من رفع هذه الامور الى أصحابها بسند يعتمد عليه ودونه لا يسمع
ثم لو ثبت ذلك فافعالهم وتقريراتهم ليست من الحججة في شيء وحاشا من
ذلك فهم أجل قدراً واعظم خطراً من ان تجري منهم هذه الامور وهي لم
يفعلها احد من اصحاب رسول الله ﷺ ، وشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله
روحه اجاب في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » عن مثل شبه هذا المالحد بوجهين
محمل ومفصل وقد اجاد فيها وأفاد وحيث ان ذلك مما لا يمكننا نقل جميعه فلا

بأس ان نذكر المجل .

قال رحمه الله تعالى : اما المجل فالنقض فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون عندا وثانهم فيستجاب لهم احياناً كما يستجاب هؤلاء احياناً وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة فان كان هذا وحده دليلاً على ان الله يرضي ذلك ويحبه فليطرد الدليل وذلك كفر متناقض ثم انك تجد كثيراً من هؤلاء الذين يستغيثون عند نبي او غيره كل منهم قد اتخذ وثناً احسن به الظن بآخر وكل منهم يزعم ان قرينه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره ، فمن المحال اصابهم جميعاً وموافقة بعضهم دون بعض فتحكم وترجيح بلا مرجح والتدين بدينهم جميعاً جمع بين الاضداد فان اكثر هؤلاء انما يكون تأثيرهم فيما يزعمون بقدر اقبالهم على وثنتهم وانصرافهم عن غيره وموافقتهم جميعاً فيما يثبتونه دون ما ينقونه يضعف التأثير على زعمهم فان الواحد اذا حسن الظن بالاجابة عند هذا ، وهذا لم يكن تأثيره مثل تأثر الحسن الظن بواحد دون آخر وهذه كلها من خصائص الاوثان ثم قد استجيب لبلعام ابن باعورا في قوم موسى المؤمنين وسلبه الله تعالى الايمان ، والمشركون قد يستسقون فيسقون ويستنصرون فينصرون انتهى . وفيه كفاية لمن كشف الله عن بصيرته حجب الغفلة والله الهادي الى سواء السبيل .

فصل

قال الملحد : وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال : —

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي

ارجو بهم اعطى غدا بيدي اليمنى صديقي

انتهى ، من كتاب خلاصة الكلام مع بعض تقرير واختصار .

والجواب ان نقول : وهذا ايضاً من نمط ما قبله وفيه من الكلام كما فيما قبله
وابن حجر المكي عامله الله بعدله من الغالين في الصالحين ومن الثالين لائمة
المسلمين الذين جردوا توحيد العبادة لله رب العالمين وجاهدوا في الله والله من
خرج عن سبيل (المؤمنين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما نولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ومن لم يجعل الله له
نوراً فما له من نور) ومن كانت هذه حاله وهذه اقواله فحقيق ان لا يلتفت اليه
وعلى تقدير ثبوته وصحته ان كان النقل صحيحاً ان المضاف هنا مقدر تقديره
ان حب آل محمد وتعظيمهم واتباعهم والصلاة عليهم ذريعتي ووسيلتي وكان في
قوله : أرجو بهم ، أي أرجوا بحبهم وتعظيمهم واتباعهم ، واما قول هذا
الملحد : فتحصل لنا من هذا جميعه انه يجوز التوسل بالنبي ﷺ قبل وجوده
وفي حياته وبعد انتقاله وانه يصح التوسل بغيره ايضاً من الاحياء ، فاقول :
اما التوسل به ﷺ قبل وجوده فمستند هؤلاء الغلاة فيه على حديث موضوع
مكذوب كما بيناه فيما سبق واما في حياته ﷺ فقد بينا فيما تقدم ان ذلك
بدعائه كما ذكرنا كلام اهل العلم بما اغنى عن اعادته واما بعد وفاته فقد بينا
انه ليس من هدى الصحابة رضي الله عنهم وانهم لم يكونوا يفعلونه ولا نقل
ذلك عنهم احد من العلماء الذين يعتد بهم ، واذا علمت هذا فقد قال النبي ﷺ
(من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد) وفي رواية (من احدث في امرنا هذا
ما ليس منه فهو رد) وما ذكره هؤلاء المشبهون من الاحاديث في جواز
ذلك فمنها ما هو موضوع ومنها ما هو معلول لا تقوم به الحجة ولا تثبت به
الاحكام الشرعية وكذلك ما ذكر من الحكايات التي هي كالتحيلات والخرافات
التي يوردها اهل الشبهات هي كلها من الموضوعات المكذوبات والله الهادي الى
الصواب ، واما قوله : وقد اجمع من يعتد باجماعه من المسلمين على ذلك ،
فاقول : هذه دعوى مجردة ، وقوله : وهو مذهب الائمة الاربعة ، فاقول :
وهذا ايضاً ابطال بما قبله فانه لم يذكر عن الائمة الاربعة الا هذه الحكايات
الموضوعة المكذوبة التي وضعها بعض الغلاة في الصالحين وقوله : ومستندهم

الكتاب والسنة لما قدمنا والاجماع حجة قاطعة ، فاقول: هذا قول على كتاب الله وعلى سنة رسول الله وعلى جميع العلماء بغير علم قال تعالى (قل انما حرم وبني الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهذا الملحد لم يذكر من كتاب الله وسنة رسوله والاجماع القاطع ما يدل على ما توهمه بل هو عليه لا له ولا يعجز كل مبطل عن مثل هذه الدعوى فالله المستعان ، واذا كان هذا جميع ما تحصل له من ما مر حكايته عنه من القول القاسط والهذيان الساقط فيتعين ان نذكر من كلام اهل العلم ما يبطل دعواه ان مستنده كتاب الله وسنة رسوله والاجماع القاطع وما يترتب على ذلك من المفاصد : قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

فصل

ثم ان في اتخاذ القبور اعيادا من المفاصد العظيمة التي لا يعلمها الا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار الله تعالى وغيره التوحيد وتهجين وتقييس للشرك ولكن ما لجرح ببيت ايلام ، فمن مفاصد اتخاذها اعياداً : الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الحدود على تراها وعبادة اصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات واغاثة اللففات وغير ذلك من انواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها او ثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤوس وارتفعت الأصوات بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم قد اربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا نزلوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا انهم قد

أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين ، فتراهم حول القبر وكما
وسجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرا فلغير
الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ويرتفع من الأصوات ويطلب من
الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذي الفاقات ومعاونة
أولى العاهات والبلبات ثم انبثوا بعد ذلك حول القبر طائفتين تشيها له بالميت
الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم اخذوا في التقييل والاستلام
أرايت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ؟ ثم عفروا لده تلك الجباه
والحدود الذي يعلم الله انها لم تغفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك
حج القبر بالتقصير هناك والخلق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن
لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرايين وكانت صلاتهم ونسكهم
وقربانهم لغير الله رب العالمين فلو رأيتهم ينيء بعضهم بعضا ، ويقول : اجز الله
لنا ولكم اجرا وافرا وحظا ، فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين ان يبيع احدهم
نواب حجة القبر بحج المتخلف الى البيت الحرام فيقول : لا واو بحجك كل عام
هذا ولم تتجاوز ما حكينا عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلاتهم اذ هي
فوق ما يخطر بالبال او يدور في الخيال ، وهذا كان مبدء عبادة الاصنام في
قوم نوح كما تقدم وكل من شم ادنى رائحة من العلم والفقه يعلم ان من اهم
الامور سد الذريعة الى هذا المحذور وان صاحب الشرع اعلم بعاقبة ما نهى عنه
وما يؤول اليه واحكم في نهيه عنه وتوعده عليه وان الخير والهدى في اتباعه
وطاعته والشر والضلال في معصيته ومخالفته ، ورأيت لأبي عبد الله الوفاء بن
عقيل في ذلك فصلا حسنا فذكرته بلفظه ، قال : لما صعبت التكليف على الجبال
والطعام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها لا أنفسهم فسهلت
عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم ، قال : وهم عندي كفار مثل تعظيم القبور
والزامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقييلها وتخليقها وخطاب الموتى
بالجوائع ، وكتب الرقاع فيها : يا مولاي افعل بي كذا أو كذا ، واخذ تربتها
تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الحرق على الشجر

اقتداء بمن عبد اللات والعزى والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم
يتمسح بأجرة مسجد المموسة يوم الاربعاء ولم يقل الجمالون على جنازته الصديق
ابو بكر أو محمد وعلي أو لم يعقده على قبر ابيه ازجا بالحص والأجر ولم يخرج
ثيابه الى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر، انتهى. ومن جمع بين سنة رسول الله
ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما عليه اكثر
الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان ابداً فهى
رسول الله ﷺ عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها ونهى عن
اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمون بها مشاهد مضاعفة لميوت
الله تعالى ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد
القناديل عليها ونهى ان يتخذ عيداً وهؤلاء يتخذون اعياداً ومناسك ويحتفلون
لها كاجتماعهم للعيد او اكثر وامر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن ابي
الهياج الاسدي ، قال قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : ألا ابغثك على
ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا ادع غملاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا
سويته ، وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة بن ثقي قال كنا مع فضالة بن عبيد بارض
الروم برودس فتوفى صاحب لنا فامر فضالة بقبوره فسوي ثم قال سمعت رسول
الله ﷺ يأمر بتسويتها ، وهؤلاء يبالفون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من
الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب ، ونهى عن تخصيص القبر والبناء عليه
كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص القبر
وان يقعد عليها وان يبنى عليه بناء ونهى عن الكتابة عليها كما روى ابو داود
في سننه عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ نهى عن تخصيص القبور
وان يكتب عليها قال الترمذى حديث حسن صحيح ، وهؤلاء يتخذون عليها
الالواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ونهى ان يزداد عليها غير تراجمها كما روى
ابو داود من حديث جابر ايضاً ان رسول الله ﷺ نهى ان يخص القبر او
يكتب عليه او يزداد عليه وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب والأجر
والاحجار والحص ، ونهى عمر بن عبد العزيز ان يبنى القبر بأجر واوصى

ان ألا يفعل ذلك بقبوره واوصى الاسود بن يزيد ألا تجعلوا على قبري أجراً وقال
 ابراهيم النخعي : كانوا يكرهون الأجر على قبورهم واوصى ابو هريرة حين
 حضرته الوفاة : ان لا تضربوا على فسطاطا . وكره الامام احمد ان يضرب على
 القبر فسطاطا ، والمقصود ان هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها اعياداً الموقدين
 عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما امر به رسول
 الله ﷺ محادون لما جاء به واعظم ذلك اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها
 وهو من الكبائر ، قال رحمه الله : وقد آل الامر هؤلاء الضلال المشركين
 الى ان شرعوا للقبور حجبا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك
 كتابا وسماه مناسك حج المشاهد مضاهاتاً عنه بالقبور للبيت الحرام ، ولا يخفى
 ان هذا مفارقة لدين الاسلام ودخول في دين عباد الاصنام فانظر الى هذا
 التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره
 في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه ولا ريب ان في ذلك من المفسد
 ما يعجز العبد عن حصره ، فمنها تعظيمها الموقع في الأفتان بها ، ومنها
 اتخاذها عيدا ومنها السفر اليها ومنها مشابهة عباد الاصنام بما يفعل عندها من
 العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها وعبادتها
 يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها
 افضل من خدمة المساجد والويل عندم لقيمها ليلة يظفي القنديل المعلق عليها
 ومنها النذر لها ولسدنتها ، ومنها اعتقاد المشركين بها ان بها يكشف البلاء
 وينصر على الاعداء ويستنزل غيث السماء ويفرج الكرب وتقضى الحوائج
 وينصر المظلوم ويجار الخائف الى غير ذلك ، ومنها الدخول في لعنة الله تعالى
 ورسوله باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج عليها ، ومنها الشرك الاكبر الذي يفعل
 عندها ، ومنها ابداء اصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذونهم ما يفعل عند
 قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة كما ان المسيح يكره ما تفعله النصارى عند قبورهم
 وكذلك غيره من الانبياء والاولياء والمشايخ يؤذونهم ما يفعله أشباه النصارى
 عند قبورهم ويوم القيامة يتبرؤون منهم كما قال تعالى (ويوم يحشرهم وما

يعبدون من دون الله فيقول أنتم أضلتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل
 قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم
 وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً (قال الله للمشركين) فقد
 كذبوكم بما تقولون (وقال تعالى) واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت
 للناس اتخذوني واممي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان أقول
 ما ليس لي بحق (الآية ، وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة
 أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بسل كانوا
 يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون) ومنها مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ
 المساجد والسرر عليها ، ومنها محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها ،
 ومنها التعب العظيم مع الوزر الكثير والاثم العظيم ، ومنها امانة السنن
 واحياء البدع ، ومنها تفضيلها على خير البقاع واحبها الى الله فان عباد القبور
 يقصدونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على
 الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه ،
 ومنها ان ذلك يتضمن عمارة المشاهد وخراب المساجد ، ودين الله الذي بعث
 به رسوله بضد ذلك ، ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم
 والدين عمروا المشاهد واخربوا المساجد ، ومنها ان الذي شرعه الرسول ﷺ
 عند زيارة القبور انما هو تذكير الآخرة والاحسان الى المازور بالدعاء والترحم
 عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى
 الميت ، فقلب هؤلاء المشركون الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة
 الشرك بالميت ودعائه والدعاء به وسؤالهم حوائجهم واستئصال البركات منه
 ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو
 لم يكن الا مجرداً به تركه ما شرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه
 والاستغفار له . ثم ذكر رحمه الله تعالى الزيارة الشرعية والأحاديث الواردة
 في ذلك ، ثم ذكر أقوال السلف ومن بعدهم من العلماء ثم قال : فاذا كنا على
 جنازته ندعو له لا ندعو به ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن اولى وأحرى

(فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ احساناً الى الميت واحساناً الى الزائر وتذكيراً بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو في العبادة وحضور القلب عندها وخشوع اعظم منه في المساجد واوقات الاسحار ، ومن المحال ان يكون دعاء الموتى والدعاء بهم او الدعاء عندهم مشروفاً وعملاً صالحاً ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقها الخائف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما يؤمرون فهذه سنة رسول الله ﷺ في اهل القبور بضعاً وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان هل يمكن بشراً على وجه الارض ان يأتي عن احد منهم بنقل صحيح او حسن او ضعيف او منقطع انهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتوسلوا بها فضلاً ان يصلوا عندها او يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليؤدقونا على اثر واحد او حرف واحد في ذلك بل يمكنهم ان يأتيوا عن الخائف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك اكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك ، بلى فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه من الاحاديث المرفوعة .

قال رحمه الله بعد ذكره ما فعله الصحابة رضي الله عنهم بقبور دانيال وتعميته بين القبور قال : ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من نعمة قبره لثلاثي يفتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون جالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور اوثاناً من لا يذاني هذا ولا يقاربه واقاموا لها سدنة وجعلوها معابد اعظم من المساجد فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة او سنة او مباحاً لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علماً لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن

بعدهم ولكن كانوا اعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم باحسان واحوا على هذا السبيل وقد كانت عندهم من قبور اصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا عنده ولا استشفى به ولا استنصر به ، ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه ، وحينئذ فلا يخلو إما ان يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها افضل منه في غير تلك البقعة او لا يكون فان كان افضل فكيف خفي علماً وعملاً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم وتظفر به الخلوف علماً وعملاً ولا يجوز ان يعلموه ويذهبوا به مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فان المضطر يتشبث بكل سبب وان كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً فتعين القسم الآخر وهو انه لا فضل للدعاء عندها ولا هو مشروع ولا مأذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة الى ما تقدم من المفساد ومثل هذا مما لا يشرعه الله ولا رسوله البته بل استجاب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم ينزل بها سلطاناً وقد انكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير، ثم قال رحمه الله : ومن اعظم كيد الشيطان انه ينصب لاهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله ثم يوحى الى اوليائه ان من نهي عن عبادته واتخاذ عيدا وجعله وثناً فقد تنقصه وهضم حقه فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرونه وذنبه عند اهل الاشرار امره بما امر الله به ورسوله ونهى عما نهى الله عنه ورسوله من جعله وثناً وعيدا وايقاد السرج عليها وبناء المساجد والقباب عليه وتجييسه وتقبيله واستلامه ودعائه او الدعاء به او السفر اليه او الاستعانة به من دون الله بما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاف لما بعث الله به رسوله من تجريد التوحيد لله وان لا يعبد الا الله فاذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون واشمأزت

قلوبهم ، وقالوا قد تنقص أهل الرتب العالية ، وزعم أنهم لا حرمة لهم ولا قدر ، وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينسب إلى العلم والدين ، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس منهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم هم أولياء الله وانصار دينه ورسوله وبأيي الله ذلك فما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون له الموافقون له العارفون بما جاء به الداعون اليه لا المتشبهون بما لم يعطوا لابسو ثياب الزور الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم ويغونها عوجاً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم ذكر كلاماً طويلاً ، الى ان قال : قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب ابعدها عن الشرع ان يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس ، قال : وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت او الغائب كما قد يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين واهل الكتاب يدعوا احدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان احياناً وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة وكذلك السجود للقبور والتمسح به وتقيله . المرتبة الثانية : الا يسأل الله عز وجل به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين ، الثالثة : ان يسأله نفسه ، الرابعة : ان يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب او انه افضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه فهذا ايضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة وماعلمت في ذلك نزاعاً بين ائمة الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم قبر فلان تزيق مجرب ، والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد الدعاء عند قبر ابي حنيفة من الكذب الظاهر . انتهى من اغاثة اللفهان .

فصل

قال الملعود : وقد روي الترمذي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ان الله لا يجمع امتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار ،

والجواب ان يقال : هذا الحديث رواه الترمذي في ابواب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا ان رسول الله ﷺ قال : ان الله لا يجمع أمتي - او قال أمة محمد - على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذذ في النار ، هذا الحديث غريب من هذا الوجه وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان قلت هذا حديث ضعيف فقي سنده سليمان بن سفيان ، قال الذهبي في الميزان : سليمان ابن سفيان ابو سفيان المدني عن عبدالله بن دينار وبلال بن يحيى قال ابن معين ليس بشيء وقال مرة ليس بثقة وكذا قال النسائي ، وقال ابو حاتم والدارقطني ضعيف انتهى ، والمقصود بالامة امة الاجابة لا امة الدعوة وامته المستجيبون لدعوته المتبعون لأمره المنتهون عما نهى عنه الآخذون بسنته وهدية هم الأمة الناجون المنصورون الى قيام الساعة الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم بخلاف عباد القبور المتخذين الاولياء والصالحين شركاء في خالص حقه سبحانه يستغيثون بهم في الشدائد ويلجئون اليهم وينجون لهم وينذرون لهم ويستعينون بهم في قضاء الحوائج ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ويدعونهم ويرغبون اليهم في الطلبات ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله هؤلاء ليسوا من امة محمد ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله بل هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة مخالفون لما عليه الامة من اهل السنة والجماعة مجتمعون على الضلالة نعوذ بالله من موجبات غضبه واليم عقابه .

واما قول الملحد : وفي سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ابغوا السواد الاعظم فانه من شذذ في النار ، فالجواب ان يقال : ان السواد الاعظم والجماعة هم من كانوا على مثل ما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ نقوله ﷺ : افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا يا رسول الله ومن هي ؟ قال من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي ، فمن كان على مثل ما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ فهم السواد الاعظم وهم الجماعة وان كانوا قليلا يدل عليهم حديث عبدالله بن عمر

وقال : قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، وفيه قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه اليوم واصحابي ، رواه الترمذي ، وقال هذا حديث حسن غريب مفسر ، وفي رواية عوف بن مالك قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال الجماعة ، وفي رواية انس بن مالك كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة رواها ابن ماجة والاحاديث بعضها يفسر بعضاً فعلم ان السواد الأعظم هو الجماعة وهي جماعة الصحابة ولعله بهذا المعنى ، قال اسحق بن راهوية حين سئل عن معني حديث « عليكم بالسواد الأعظم » : هو محمد بن أسلم وأتباعه فأطلق على محمد بن أسلم وأتباعه لفظ السواد الأعظم تشبيهاً لهم بالصحابة في شدة ملازمة السنة والتمسك بها ولذا كان سفيان التوري : يقول المراد بالسواد الأعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً كذا في (الميزان) للشعراني ، قال ملا سعد الرومي في مجالس الأبرار : فلا بد لك أن تكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن أتفق الجمهور فلا يترك اتفاقهم على ما أحدث بعد الصحابة بل ينبغي لك أن تكون حريصاً على التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم فإن أعلم الناس وأفهمهم إلى الله تعالى أشبههم بهم وأعرفهم بطريقهم إذ منهم أخذ الدين وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع ، وقد جاء في الحديث « إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم » والمراد به لزوم الحق وأتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً واختلف كثيراً لأن الحق ما كان عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة ولا عبرة بالنظر الى كثرة الباطل بعدهم ، وقد قال الفضيل بن عياض ما معناه الزم طريق الهدى ولا يغرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين وقال بعض السلف اذا وافقت الشريعة ولاحضت الحقيقة فلا تبال وان خالفت رأيك جميع الخليفة ، وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في « اغاثة الالهان » فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقدته إذا استشعر قلبه مراقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً منفرد العبد في طريق

طلبه دليل على صدق طلبه ، ولقد سئل اسحق بن راهوية عن مسألة ، فأجاب عنها ، ف قيل له ان أخاك احمد بن حنبل يقول فيها بمثل قولك ، فقال ما ظننت أن أحداً ان يوافقني عليها ولم يستوحش بعد ظهور النور له من عدم الموافقة فان الحق إذا لاح وتبين لم يحتج الى شاهد يشهد به والقلب يبصر الحق كما نبصر العين الشمس فكيف يحتاج الى شاهد يشهد بطاوعها ويوافقه عليه وما احسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب (الحوادث والبدع) حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق وأتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ولا ينظر الى كثرة أهل الباطل بعدهم ، قال عمرو ابن ميمون الأزدي صحبت معاذاً باليمن فما فارقتني حتي واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفضه الناس عبد الله بن مسعود فسمعتني يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوماً من الايام وهو يقول : سيلي عليكم ولالة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة ليقانها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، فقلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونا قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي النافلة ؟ قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفضه أهل هذه القرية تدري مما الجماعة قلت : قال إن جمهور الناس الذين فارقوا الجماعة بالجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك قال نعم بن حماد يعني اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تقسد وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ وعن الحسن قال السنة والذي لا إله الا هو بين الغالي والجاهلي فاصبروا عليها رحمكم الله فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصابروا على سنتهم حتي لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله تعالى فكونوا وكان محمد بن أسلم الطوماني الامام المتفق على إمامته من اتبع الناس للسنة في زمانه حتي قال : ما بلغتني سنة عن رسول الله ﷺ الا عملت بها ولقد حرصت على أن أطوف

بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك وسأل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد
الاعظم الذين جاء فيهم الحديث «إذا اختلف الناس فعليك بالسواد الاعظم»
من السواد الاعظم؟ قال محمد بن اسلم الطوسي هو السواد الاعظم انتهى، وليعلم
هنا أن محل وجوب السواد الاعظم الذي أريد منه جماعة الصحابة هو ما اختلف
فيه الصحابة فذهب عامتهم وأكثرهم إلى أمر والبعض الآخر إلى خلافه بدليل
لفظ الاختلاف فاذا اختلفوا فالصحيح أن الحق مع من كان الخلفاء الاربعة
فيهم فإن اختلفوا وكان أبو بكر وعمر مع طائفة فالحق معهم وكذلك إذا
كان أحد الخلفاء في طائفة ولم يكن أبو بكر وعمر معهم فمن كان عثمان أو علي
معه فهم أولى من غيرهم وأما ما أجمع عليه الصحابة فوجوب اتباعهم يعلم
بفيحوي الخطاب ، وأما ما اختلفوا فيه ولا يعلم كثرتهم في جانب فالحديث
لا يدل على وجوب اتباعهم فيه وهذا كله فيما إذا لم يعارضه آية أو حديث
مرفوع صحيح أو حسن لم يثبت نسخهما وأما إذا عارضته آية أو حديث فالحجة
الكتاب والسنة وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وماذا بعد الحق إلا الضلال،
والمقصود أن السواد الاعظم من هذه الامة من كانوا على مثل ما كان عليه
أصحاب رسول الله ﷺ في كل ما يتعاونونه ويفعلونه ويقولونه ، وقد علمت
أنهم رضى الله عنهم ما كان أحد منهم يستغيث برسول الله ﷺ بعد وفاته
ولا يدعونه ولا يلجئون إليه فيما ينوبهم ولا كان أحد منهم يأتي إلى قبره عليه
الصلاة والسلام فيتمسك به ويدعو هناك أو يستغيث به ، وقد كان أعلم الناس
بمثل هذه الامور مالك إمام دار الهجرة فإنه مقيم بالمدينة يرى ما يفعل التابعون
وتابعوهم ويسمع ما يقولون عن الصحابة وأكابر التابعين ، وهو ينهى عن
الوقوف عند القبر للدعاء ويذكر أنه لم يفعل السلف والمقصود أن نقله هذا
للملحد من جواز التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين من الاحاديث أنه
إما كذب موضوع وإما ضعيف لا يقوم به حجة ولا تثبت به الاحكام
الشرعية ، وكذلك ما نقله عن العلماء فهو من هذا النمط فما سلكه هذا الملحد
محالف لما كان عليه السلف الصالح والصدر الاول واتباع سبيل من خالفهم

من ابتدع في الدين واتبع غير سبيل المؤمنين وهؤلاء الاكثرون كما قال تعالى (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) هؤلاء وإن كانوا هم الاكثرين فليسوا بالسواد الاعظم والجماعة المذكورين في الاحاديث النبوية بل السواد الاعظم والجماعة من كان على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ كالتابعين رضي الله عنهم والأئمة المهتدين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وإن كانوا قليلاً كما تقدم بيانه مفضلاً موضعاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

ولنختم الجواب بالفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية ليعلم الناظر في هذه الاوراق أن هؤلاء الغلاة الجهال ما عرفوا من معنى (لا إله إلا الله) ما عرفه جهال الكفار الذين بعث الله فيهم رسوله محمد ﷺ فإن هؤلاء الغلاة يزعمون أن من قال لا إله إلا الله وافر أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار المدبر لجميع الامور أنهم لا يقصدون بمن يدعونه ويستغيثون به ويلجأون اليه من الانبياء والاولياء والصالحين بذلك تأثير شيء منهم بإيجاد نفع أو دفع ضرر ولا يعتقدون ذلك البتة بل يعتقدون أن الله هو المنفرد بالإيجاد والاعدام والنفع والضرر وأنه لا مشارك له في ذلك وهذا هو اعتقاد جهال الكفار الذين بعث الله اليهم رسوله محمد ﷺ فإنهم كانوا يدعون الانبياء والملائكة والاولياء والصالحين ويلتجئون اليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفي كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، إذا عرفت ما قدمت لك ، فاعلم أن التوحيد نوعان ، توحيد في المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الالهية والعبادة كما قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما التوحيد الذي دعت

اليه الرسل وانزلت به الكتب فهو نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وتوحيد في الطلب والقصد فالأول هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وافعاله واسماؤه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده واثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد افصح القرآن عن هذا النوع حق الافصاح كما قال في اول الحديد وسورة طه وآخر الحشر واول تنزيل السجدة واول آل عمران وسورة الاخلاص بكمالها وغير ذلك . انتهى كلامه رحمه الله ، فاذا عرفت هذا تبين لك ان توحيد الربوبية هو توحيد العبد ربه سبحانه وتعالى بافعاله الصادرة منه كالخلق والرزق والاحياء والاماتة وانزال المطر وانبات النبات والنفع والضرر وتديير جميع الامور الى غير ذلك من افعال الرب سبحانه وتعالى ، وهذا هو اعتقاد جاهلية العرب فانهم كانوا مقربين ومجتوفين ان الله هو الفاعل لهذه الاشياء وانه لا مشارك له في ايجاد شيء واعدامه وان النفع والضرر بيده وانه هو رب كل شيء مليكه كما كانوا يقولون في تلييتهم (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك) ولا يعتقدون ان آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الانبياء والاولياء الصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض او استقوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون ، قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تعقلون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل فاني تسحرون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله

مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (الآية وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فالولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وقال تعالى (افمن يخلق كمن لا يخلق افلاتدكرون) وقال تعالى (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) الآية وحكي عن اهل النار انهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله (تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم انهم ماسوؤهم به في الخلق والتدبير والتأثير وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات ، فاذا عرفت ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام وان قصدتم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بهم هو الذي احل دماءهم واموالهم عرفت ان التوحيد الذي دعت اليه الرسل واي عن الاقرار به المشركون هو توحيد الالهية والعبادة كما قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لئاركوا الهتنا لشاعر مجنون) وقال تعالى عن كفار قريش (اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب) وهذه الآية نزلت حين اجتمعت سراة قريش عند ابي طالب قائلين : اقض بيننا وبين ابن اخيك بان يرفض ذكر الهتنا ونذده والله فاجاب عليه الصلاة والسلام بعدما جاء واخبره عمه عنهم : يا عم افلا تدعوهم الى كلمة واحدة يدن لهم بها العرب ويملكون بها العجم ؟ فقال من بين القوم ابو جهل : ما هي لتعطينكمها وعشر امثالها . فقال : قولوا لا اله الا الله فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم وذلك قوله (وانطلق الملائمة منهم ان امشوا واصبروا على الهتم ان هذا لشيء يراد) فاذا تمهد هذا وانضح الك غلمت انه لا ينجي من الشرك الا كبر الذي لا يغفره الله الا القيام بما دعت اليه الرسل وانزلت به الكتب من هذا النوع الآتي بيانه وهو توحيد الله تعالى بافعال العبد الصادرة منه لأن الاله هو الذي تأله القلوب محبة واجلالاً وتعظيماً وخوفاً ورجاءاً وخضوعاً وخشوعاً وانابة وتوكلاً واستعانة واستغاثة

ودعاء آفهو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خالق . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : النوع الثاني : ما تضمنته سورة (قل ايها الكافرون) وقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) الآية واول سورة تنزيل الكتاب وآخرها واول سورة المؤمن ووسطها وآخرها واول سورة الأعراف وآخرها وجملة سورة الانعام وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية اليه فان القرآن اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله واقواله فهو التوحيد العلمي الخبري واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي واما امر ونهى والزام بطاعته وامره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقي من العذاب فهو جزاء . من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كاه في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك واهله وجزائهم . انتهى ، فاذا عرفت ان توحيد الربوبية هو الاقرار والاعتراف بان الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار المدير لجميع الامور وعرفت ان جهال الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ مقرون بهذا معترفون به ولم ينازع احد منهم في ذلك بل يعتقدون ان الله هو الفاعل لهذه الاشياء وانه لا ينفع ولا يضر الا الله وانه المنفرد بالايجاد والاعدام والتدبير والتأثير وانه لا مشارك له ولو في خلق ذرة من الذرات ولم يدخلهم ذلك في الاسلام بل قاتلهم رسول الله ﷺ الى ان يكون الدين كله لله فان يخلصوا العبادة ولا يشركوا معه في عبادته احد سواء فأت من دعى الله ودعى معه غيره فهو مشرك فالدعاء والخوف والحب والرجاء والتوكل والابانة والخشوع والخضوع والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والالتجاء وغير ذلك من انواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه هي له سبحانه وتعالى فمن صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير من يدعوه ويرجوه او لم يعتقد ذلك فيه ، قال شيخ الاسلام

قدس الله روحه و التوحيد الذي جاء به الرسول انما يتضمن اثبات الآلهة الله وحده بان يشهد ألا إله إلا الله لا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يرأى إلا الله ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله ، وذلك يتضمن اثبات ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات قال تعالى : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقال تعالى : (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو إله واحد فإياي فارهبون) وقال تعالى : (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقال تعالى (وأسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وآخر عن كل نبي من الانبياء انهم دعو الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له وقال تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا القومهم انا براء منكم وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى عن المشركين (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون ويقولون اننا لنتاركو إلهتنا لشاعر مجنون) وهذا في القرآن كثير ، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من اهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء انهم اذا اثبتوا ذلك بالدليل فقد اثبتوا غاية التوحيد وانهم اذا شهدوا هذا وفقوا في غاية التوحيد ، فان الرجل لو اقر بما يستحقه الرب من الصفات ونزوه عن كل ما ينزه عنه واقر بانه وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً حتى يشهد ان لا اله الا الله فيقر بان الله وحده هو الاله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له وانه هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الاختراع فاذا فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد ان هذا المعنى هو اخص وصف الاله وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي يقولونه عن ابي الحسن واتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد

الذي بعث الله به رسوله ﷺ فان مشركي العرب كانوا مقرين بان وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى (ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال طائفة من السلف تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون) الى قوله (فاني تسحرون) فليس كل من اقر بان الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه راجيا له خائفا منه دون ما سواه يوالي فيه ويعادي فيه ويسمع رسله ويأمر بما امر به وينهى عما نهى عنه وغامة المشركين اقروا بان الله خالق كل شيء واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له اندادا قال تعالى (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الى قوله سبحانه وتعالى (عما يشركون) قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) ولهذا كان من اتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول : ان هذا ليس بشرك انما الشرك اذا اعتقدت انها المدبرة فاذا جعلتها سببا واسطة لم اكن مشركا ، ومن المعام بالاضطراب من دين الاسلام ان هذا شرك . انتهى كلامه ، وقال ايضا على قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) الآيات ، نفى الله عما سواه كلها يتعلق به المشركون فنفي ان يكون غيره ملك او قسط منه او يكون عون الله فلم يبق الا الشفاعة فبين انها لا تنفع الا لمن اذن له الرب كما قل تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارضى) فهذه الشفاعة التي يظن بها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن واخبر النبي ﷺ انه

يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال ارفع رأسك وقل يسمع
وسل تعط واسفع تشفع، وقال له ابو هريرة: من اسعد الناس بشفاعتك يا رسول
الله؟ قال من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه فتلك الشفاعة لاهل الاخلاص
بأذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله وحقيقته ان الله سبحانه هو الذي يتفضل
على اهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من اذن له ان يشفع ليكرمه وينال
المقام المحمود فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا اثبت الشفاعة
بأذنه في مواضع وقد بين النبي ﷺ انها لا تكون الا لاهل التوحيد والاخلاص.
انتهى، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على هذه الايات: وقد قطع
الله الاسباب التي تتعلق بها المشركون جميعها فالمشرك انما يتخذ معبوده لما
يحصل له من النفع والنفع لا يكون الا بمن فيه خصلة من هذه الاربعة اما
مالكا لما يريد عابده منه فان لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك. فان لم يكن
شريكاً للمالك كان معيناً له وظهيراً فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شقيقاً
عنده فنفي سبحانه المراتب الاربعة نفياً مرتباً منتقلاً من الاعلى الى الادنى
فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك واثبت شفاعة
لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بأذنه فكفى بهذه الآية نورا وبرهاناً وتجريداً
للتوحيد وقطعاً لاصول الشرك ومواده لمن عقلها والقرآن مملو من امثالها ونظائرها
ولكن اكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم
قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً وهذا هو الذي حال بين القلب وبين فهم
القرآن ولعمري ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شرمهم
أو دونهم فتناول القرآن لهم كتناواه لأولئك. انتهى كلامه رحمه الله، فاذا
تبين لك الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية عرفت ان مشركي
أهل زماننا لا يعرفون ما عرفه كفار العرب فان كفار العرب يعلمون أنهم
إذا قالوا لا اله الا الله فقد نفوا جميع المعبودات من دون الله وأثبتوا
العبادة لله وحده لا شريك له دون سواه فأبوا عن النطق بلا اله الا الله وعتوا
عتواً كبيراً وأبي الظالمون إلا كفوراً فاجحدوا لا اله الا الله لفظاً ومعنى

ولذلك لما قال لهم رسول الله ﷺ (قولوا لا إله إلا الله) قالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا شيء عجاب) وقال تعالى حاكياً عنهم (أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركونا آلهتنا لشاعر مجنون) وهذا بخلاف ما عليه هؤلاء الغلاة الجاهل فانهم يقولونها وهم مع ذلك يعبدون مع الله غيره من بشر كونه في عبادته بالدعاء والخوف والحب والرجاء والتسوكل والاستغاثة والاستعانة والذبيح والنذور والالتجاء وطلب الشفاعة منهم إلى غير ذلك من أنواع العبادة فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة فقد عبد ذلك الغير واتخذها إلهاً وأشركه مع الله في خالص حقه سواء اعتقد التأثير والتدبير والايجاد والاعدام والنفع والضرر من بدعوه أو يرحوه أو لم يعتقد وإن فرّ من تسمية فعلة ذلك تألهماً وعبادة وشركاً ، ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن حقائق الاشياء لا تتغير بتغير أسمائها فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها كتسمية عباد القبور عبادة غير الله توسلاً وتشفعاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً فلا اعتبار بحقائق الامور لا بالأسماء والاصطلاحات والحكم يدور مع الحقيقة لا مع الاسماء فاذا تحققت ما قدمت لك فلا بدّ من ذكر شيء يسير من كلام العلماء في معنى لا إله إلا الله ، قال الوزير أبو المظفر في (الافحاح) قوله شهادة أن لا إله إلا الله يقتضى أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله ، كما قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) قال وامم الله مرتفع بعد إلا من حيث أنه الواجب له الالهية فلا يستحقها غيره سبحانه قال : وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والايان بالله فانك لما نفيت الالهية وأثبتت الايجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله وقال في « البدائع » ردّاً لقول من قال أن المستثنى مخرج من النفي ، قال : بل هو مخرج من المنفى وحكمه فلا يكون داخلاً في النفي إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الاسلام بقول لا إله إلا الله لأنه لم يثبت الالهية لله تعالى ، وهذه أعظم كلمة تضمنت نفي الآلهة عما سوى الله وإثباتها له تعالى بوجوه الاختصاص فدالاتها على إثبات الهيته أعظم من دلالة

قولنا الله إله ولا يستريب احد في هذه البتة انتهى بمعناه ، وقال أبو عبد الله
القرطبي في تفسيره لا إله إلا الله : أي لا معبود إلا هو ، وقال الزمخشري :
الاله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم
غلب على المعبود بحق ، قال شيخ الاسلام : الاله هو المعبود المطاع فان الاله هو
المألوه والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد وكونه يستحق أن يعبد هو بما انصف
به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب الخاضوع له غاية
الخضوع قال فان الاله هو المحبوب المعبود الذي تألمه القلوب بحبها وتخضع له
وتذل له وتخافه وترجوه وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه وليس
إلا الله وحده ولهذا كانت لا إله إلا الله أصدق الكلام وكان أهلها أهل الله
وحزبه والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته فاذا سمعت صبح بها كل
مسألة وحال وذوق وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله
وقال ابن القيم رحمه الله : الاله الذي تألمه القلوب بحبة وإجلالا وإنابة وإكراماً
وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً ، وقال ابن رجب رحمه الله :
الاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبه له وإجلالا ومحبة وخوفاً ورجاءً وتوكلاً
عليه وسواء لأمنه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا الله عز وجل فمن أشرك
مخلوقاً في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية كان ذلك قدحاً في
إخلاصه في قول لا إله إلا الله وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه
من ذلك ، وقال البقاعي : لا إله إلا الله أي انتفاء عظميا أن يكون معبوداً بحق
غير الملك الأعظم فان هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة
وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان
والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل صرف ، وقال الطيبي : الاله فعال بمعنى مفعول
كالكتاب بمعنى المكتوب من اله آله أي عبيد عبادة ، قال الشيخ سليمان
ابن عبد الله رحمه الله وهذا كثير في كلام العلماء وإجماع منهم فدلّت لا إله إلا الله
على نفى الآلهية عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان واثبات الالهية لله
وحده دون كل ما سواه وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودل عليه

القرآن من أوله الي آخره كما قال تعالى عن الجن (قل أوعى إلي أنه لم يسمع
نقر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الي الرشد فآمنّا به ولن نشرك
ربنا أحداً) فلا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً واعتقد
ذلك وقبله وعمل به . وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم في كلام
العلماء أن هذا جهل صرف فهي حجة عليه بلا ريب فقوله في الحديث « وحده
لا شريك له » تأكيد وبيان لمضمون معناها وقد أوضح الله ذلك وبينه في قصص
الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين فما أجهل عباد القبور بحالهم وما أعظم ما
وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » فان مشركي
العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلا الله لفظاً ومعنى وهؤلاء المشركون أقروا
بها لفظاً وجحدوها معني فتجدهم يقولها لفظاً وهو ياله غير الله بأنواع العبادة
كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادة بل
زاد شركهم علي شرك العرب بمراتب فان أحدهم إذا وقع في شدة أخلص
الدعاء لغير الله تعالى ويعتقد أنه أسرع فرجاً لهم من الله بخلاف حال المشركين
الاولين فانهم يشركون في الرخاء وأما في الشدة فانما يخلصون لله وحده كما
قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعو الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الي البر
إذا هم يشركون) الآية فهذا تبين أن مشركي أهل هذه الازمان أجهل بالله
وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم . انتهى . وقال الشيخ عبد الله
ابن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين في معنى الاله قال : وأما الاله فهو الذي
تأله القلوب بالحبة والخشوع والخوف والرجاء وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة
والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذور والسجود وجميع أنواع العبادة
الظاهرة والباطنة فهو إله بمعنى مألوه أي معبود وأجمع أهل اللغة أن هذا معني
الآله قال الجوهري : الاله بالفتح آله أي عبد عبادة قال ومنه قولنا (الله) وأصله
لاه علي فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه بمعنى معبود كقولنا إمام فعال بمعنى
مفعول لأنه مؤتم به قال والتأليه التعبيد والتأله التنسك والتعبد قال روبة
سجن واسترجعن من تأله . انتهى . وقال في (القاموس) : الاله آله وألوهة

عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه علي عشرين قولاً يعني لفظ الجلالة قال : وأصله إله بمعنى مألوه وكلما اتخذ معبوداً له عند متخذه قال : والتأله والتنسك والتعبد ، انتهى ، وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الإله هو القادر على الاختراع وهذه ذلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصور العاقل تبين له بطلانه وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقولون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون ومن أبعد الأشياء أن عاقلًا يمتنع من التلفظ بكلمة يقو بمعناها ويعترف به ليلاً ونهاراً وأسراراً وجهاراً هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل . قال أبو عباس رحمه الله تعالى : وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله فإن المشركين كانوا يقولون بهذا التوحيد كما قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، وقال تعالى : قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل أفلا تذكرون) الآيات ، وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) الآيات ، وقال ابن عباس : تسألهم من خلق السموات والأرض ، فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره ، وهذا التوحيد من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به الواجب ولا يخلص بمجردة عن الأشرار الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله بل لا بد أن يخلص الله الدين فلا يعبد إلا إياه فيكون دينه الله ، والإله هو المألوه الذي تأله القلوب فهو الإله بمعنى مألوه لا بمعنى إله انتهى . وقد دل صريح القرآن على معنى الإله وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى (وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه اني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال المفسرون : هي كلمة التوحيد

« لا اله الا الله » باقية في عقبه اي ذريته ، قال قتادة : لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده ، والمعنى جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية ابراهيم يتوارثها الانبياء واتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة لا اله الا الله فتمين ان موالاة الله بعبادته والبراءة من كل معبود سواه هو معنى « لا اله الا الله » .

إذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئاً من انواع العبادة المتقدم تعريفها كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك فقد عبد ذلك الغير واتخذها الهاً واشراكه مع الله في خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك تألها وعبادة وشركاه ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغيير اسمائها فلو سمي الزنا والربا والخمر بغير اسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرًا ونحو ذلك فمن المعلوم ان الشرك اما حرم لقبه في نفسه وكونه متضمناً مسبة الرب وتنقصه وتشويهه بالمخالفين فلا تزول هذه المفاصل بتغيير اسمائها كتسميته توسلاً وتشفعاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً لهم ونحو ذلك ، فالمشرك مشرك شاء أم أبى وقد اخبر النبي ﷺ ان طائفة من امته يستحلون الربا بأسم البيع ويستحلون الخمر بأسم اخر غير اسمها وذمهم على ذلك فلو كان الحكم دائراً مع الاسم لا مع العلة لم يستحق الذم ، وهذا من اعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديماً وحديثاً اخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم وغير اسمه بتسميته اياه توسلاً ، وتشفعاً ، ونحو ذلك ، والله الهادي الى سواء السبيل انتهى .

فلا بد في شهادة ان لا اله الا الله من ان يكون المتكلم بها عارفاً بمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً ولا بد من العلم واليقين بدلولها كما قال تعالى : (فاعلم انه لا اله الا الله) وقوله (الا من شهد بالحق وهم يعلمون). اما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من نفى الشرك واخلاص القول والعمل قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالاجماع قال في المفهم على صحيح مسلم باب لا يكفي مجرد اللفظ بالشهادتين بل لابد من استيقان القلب هذه الترجمة تنبيه

على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الايمان واحاديث هذا الباب تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ولأنه يلزم من تسويغ النفاق والحكم للمناق بالايان الصحيح وهو باطل قطعاً انتهى . ومعنى « لا إله إلا الله » أى لا معبود حق إلا الله وهو في غير موضع من القرآن قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فأجابوا رداً عليه بقولهم (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) وقال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وإنما يدعون من دونه هو الباطل) الآية فتضمن ذلك نفى الالهية عما سوي الله وهي العبادة وإثباتها لله وحده لا شريك له والقرآن من أوله الى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد اليه فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد جعله لله نداً فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين .

تم بحمد الله